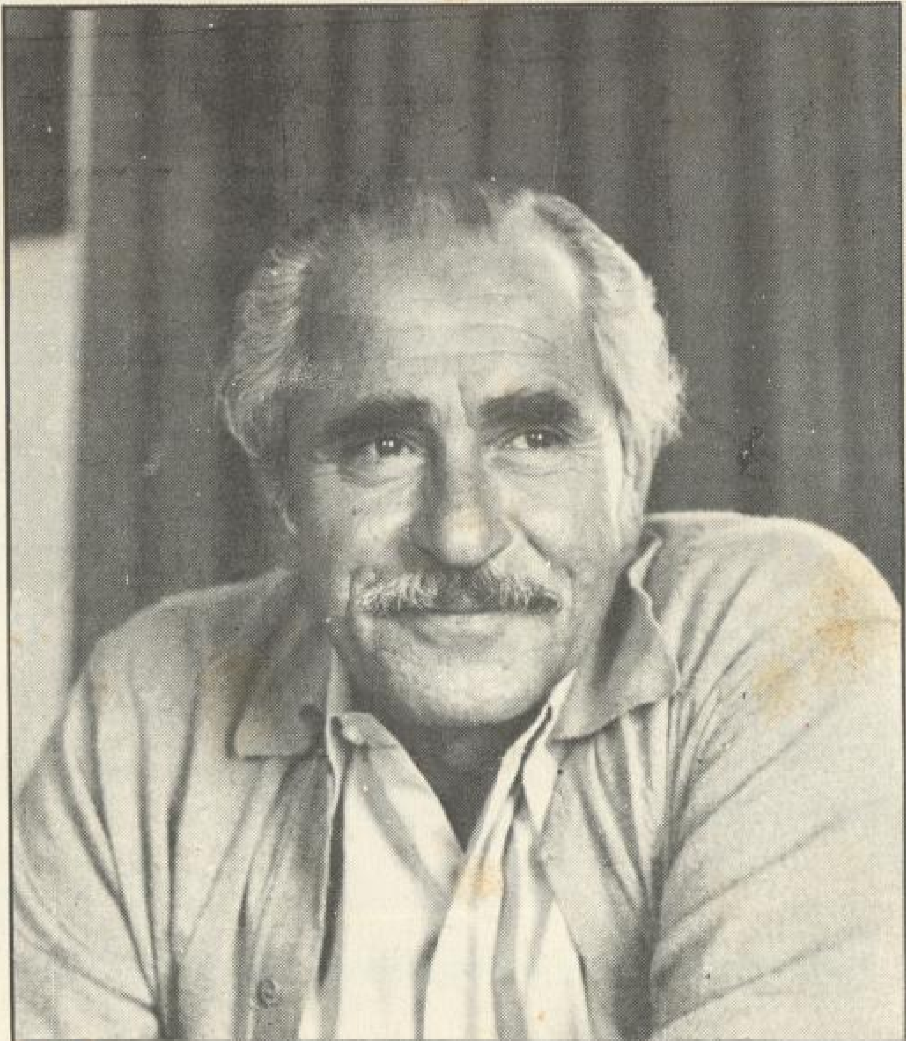
توفيق أسعد

الجديد

١١٢ صفحة

العدد ٩،٨ آب ـ ايلول ١٩٨٥ المجلد ٣٤ الثمن ٢٥٠٠ شيكل



الدكتور اميل توما الراحل عنا .. الباقي بيننا

الجديد

شهرية للآداب والعلوم والفنون
تأسست سنة ١٩٥١

رئيس التحرير
د. إميل توما
سكرتير التحرير
سلمان ناطور

عنوان التحرير والادارة
شارع صهيون ١٣
تلفون ٦٦٣٧٦٠ - حيفا
ص.ب ٩٤١٠

طبعت في مطبعة
«الاتحاد» التعاونية
شارع الوادي ٤٣
حيفا

AL-JADEED
CULTURAL MONTHYLY
P.O.Box 9410
HAIFA 31000, Israel

אל-ג'דיד
ירחון לעניני תרבות
נוסד בשנת 1951

מערכת והנהלה: רח' צהיון 13
טל. 663760 — ת.ד. 9410
חיפה (31000)

في هذا العدد

- الاشتراكات السنوية
في البلاد والمناطق المحتلة ٢٠,٠٠٠ شيكل
دول اوروبا ٣٠ دولار
الولايات المتحدة وكندا ٤٠ دولار
امريكا اللاتينية، افريقيا، والشرق الاقصى واستراليا ٥٥ دولار

الاعلانات

الاعلانات يتفق بشأنها مع ادارة المجلة

إميل توما

الراحل عنّا .. الباقي بيننا !

□ في السابع والعشرين من آب ١٩٨٥ ، رحل عنّا الدكتور اميل توما ، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاسرائيلي عضو السكرتارية المركزية للجبهة الدمقراطية للسلام والمساواة رئيس تحرير «الجديد» .

برحيل اميل توما خسر حزبنا وشعبنا قائداً سياسياً حكيماً وشجاعاً ومفكراً أصيلاً ومبدعاً وانساناً رائعاً وعظيماً .

كان اميل توما شخصية شاملة الاهتمامات غنية المواهب ، فقد عرف ، طول حياته ، كيف يجمع جمعاً حقيقياً ، بين الفكر والنضال . فالفكر ، عنده ، معيار صحته هو الممارسة الواقعية النضالية . والنضال ، عنده ، لا يستقيم ولا يتواصل ولا يثمر إلا اذا استند الى عقيدة ثورية علمية .

انخرط اميل توما منذ ريعان شبابه ، في بداية الثلاثينات ، في الحركة الوطنية الثورية . ومنذ تلك الايام العاصفة بحماس الشباب واندفاعه ، وحتى آخر يوم في حياته ، كانت طاقاته كلها مكرسة للقضية الوطنية والثورية ، لقضية الخلاص والإستقلال والسعادة .

ومثل كل الرواد المؤسسين كان اميل توما ذا ثقافة شاملة ورؤية شاملة . كان زعيماً سياسياً ومفكراً لامعاً وصحفياً بارزاً ومؤرخاً فذاً ومحاضراً

وخطيباً وداعية سياسياً . وكتب في الادب والنقد والمسرح . وكان يتكلم بتأثر بالغ عن كل اختراع علمي جديد يوثق سيادة الانسان على هذا الكوكب . وكان بالاضافة الى كل هذا عضواً قيادياً في عشرات الاطارات والهيئات الشعبية والثقافية والاجتماعية . وفي كل هذه الاطارات ، كان الجميع ينتظر رأيه الحكيم والثاقب والمتواضع .

ومما لا شك فيه ان انسانية اميل توما الرائعة والفذة كانت موهبته الرئيسية ، ميزته الرئيسية . كان صادقاً وأصيلاً ومتواضعاً ودمثاً . كان يجيد الكلام ويجيد الاستماع للآخرين . كان رقيقاً كالنسيم ولكنه كان في الوقت نفسه جريئاً صلباً في الدفاع عن رأيه ، رأي حزبه ، في الدفاع عن الماركسية - اللينينية التي اعتنقها اعتناقاً علمياً منطقياً فلسفياً عميقاً . ومن خلال كل هذا ، كان اميل توما تجسيداً حياً وخلاقاً لوطنية الشيوعيين ، الذين لا هم لهم إلا تحقيق الخلاص للشعب ، تحقيق الحرية والسعادة المادية والروحية لجماهير الشعب .

ان الثقافة الوطنية - الثورية لجماهيرنا العربية الفلسطينية الباقية فوق تراب الوطن مدينة بالكثير الكثير لاميل توما . هذا العملاق الحر والبسيط كالقمح - والنضال الوطني لجماهيرنا العربية مدين بالكثير الكثير لاميل توما . هذا المناضل الفذ الذي اعطى بلا حدود وكان له دور رائد في كل مضمار نشط فيه . وان شعبنا العربي الفلسطيني حين يذكر الابطال الابطال والافذاذ الافذاذ من أبنائه وقادته سوف يذكر في المقدمة منهم رفيقنا وصديقنا ومعلمنا اميل توما . وكما قال الاستاذ حسن البطل ، مدير تحرير مجلة «فلسطين الثورة» - الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فان الدولة الفلسطينية المستقلة عندما تقوم - وسوف تقوم - سوف تقرر كتب اميل توما في التاريخ الفلسطيني مادة إلزامية لطلاب فلسطين .

يا رفيقنا وصديقنا ومعلمنا اميل توما . لقد كانت حياتك حياة انسانية غنيّة حقاً . فكراً وعطاءً ممارسة ومسلكاً . لقد تركت آثاراً لا يمكن محوها على صفحات تاريخ هذا الوطن وهذا الشعب .

وداعاً ، أيها الحبيب الراحل عنّا !

ومرحباً بك أيها الحبيب الباقي بيننا .. الى الأبد ! □

(«الجديد»)

لقاء الجديد ١٩٨٥/٨/١٨
מפגש אל-ג'דיד

«لقاء الجديد»

الكتّاب في مواجهة الاحتلال والعنصرية

إمساء الأحد ١٩٨٥/٨/١٨ غصت قاعة «الأخوة» في حيفا بعشرات الكتّاب والمثقفين العرب واليهود لحضور اللقاء الذي دعت اليه «الجديد» تحت عنوان : الكتّاب في مواجهة الاحتلال والعنصرية

وذلك في اطار النشاطات والجهود التي تبذلها «الجديد» في النضال ضد الاحتلال والعنصرية ودفع الكتّاب للمساهمة الفعلية في هذا النضال الهام، ويذكر ان «الجديد» نظمت في السنوات الأخيرة العديد من الندوات واللقاءات الأدبية حول هذا الموضوع كذلك أجرت لقاءات مع كتاب عبريين ليبراليين وتقدميين حاورتهم فيها حول مهماتهم في هذه المرحلة.

افتتح اللقاء وأداره الكاتب سلمان ناطور وتحدث فيه كل من الشاعر سالم جبران والبروفسور ساسون سوميخ رئيس قسم اللغة العربية في جامعة تل ابيب والشاعر خليل توما حيث القى كلمة اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين والكاتب العبري يورام كنيوك والكاتب اميل حبيبي والكاتب سليم خوري كذلك القى الشاعر يوسف حامد قصيدة والشاعر نوف برزيلاي القى قصيدتين باللغة العبرية كما قرأ الكاتب غسان عبدالله قصة للكاتب سامي كيلاني الذي يقاسي من الحجز البيتي منذ ثلاث سنوات بأمر من سلطات الاحتلال.

في ما يلي تنشر «الجديد» الكلمات التي ألقيت في هذا اللقاء الهام كذلك تنشر القصائد والقصص التي ألقيت والتي لم تقرأ لضيق الوقت وهي قصائد محمد شريم ونبيل الجولاني وقصة «الشمع» لجمال بنورة.

سلمان ناطور:

لنطلق كلماتنا كالرصاص لكي تصيب..



هنا يعقد لقاء يجمع كتابا عربا ويهودا، مثل هذا اللقاء، هناك من يريد ان يجعله مستحيلا ومناقضا للواقع ومخالفا للقانون، ليس فقط للمحافظة على ثقافته العرقي، بل أيضا للمحافظة على ثقافته.

انه لقاء رجال الفكر، في مرحلة تهب فيها رياح ستكون نتيجتها ان تحصد العاصفة. وهناك من يدعي إننا في نهاية الأمر نتعامل فقط مع المادة الخام التي تسمى «الكلمة»، كأنه لا قوة للكلمات ولا تأثير وأما نحن فالكلمة هي سلاحنا الوحيد ونؤمن انها هي صاحبة القوة والتأثير.

ولما كان انشغالنا بالكلمات فانظروا ما هو تأثير الكلمات التي نشاهدها يوميا على الشاشة الصغيرة، كتبت بلون الدم القاني على شاشة التلفزيون الاسرائيلي «مشاغبات في جنوب افريقيا». ان الافارقة السود الذين يدفعون دماءهم ثمنا لحريتهم يطلق عليهم في اسرائيل «المتنوّرة» وما يسمى دول «العالم الحر» «مشاغبون». كذلك أولئك الذين يناضلون ضد الاحتلال، ليس في جنوب افريقيا فقط، يسمون مشاغبين وأولئك الذين دافعوا عن أراضيهم في يوم الأرض وصفوا حسب القاموس الاسرائيلي الرسمي بأنهم مشاغبون. وفي ام الفحم «قام بعمليات شغب» أولئك العرب واليهود الذين أقاموا الحواجز بأجسادهم أمام الراب العنصري البشع وشرطة اسرائيل التي قامت بحمايته والنظام الذي لما في تربته.

«الاحتلال والعنصرية». اصطلاحان متلاحمان ويكمّل أحدهما الآخر. مثل «الحرب والدمار» و «السلام والأمن». في نهاية الأمر هذه كلمات كل ما يطلب منا، نحن الكتاب، هو ان نفضحها الى حدود العبث، ان نطلقها كالرصاص لكي تصيب، ولكي نسقط هذا الموضوع عن جدول أعمالنا، والى هذين الاصطلاحين نضيف اصطلاحات أخرى تحمل اسم أصحابها الذين يتصرفون لكي نظرياتهم تبقى. ففي الولايات المتحدة انصرف السيناتور مكارثي الى حيث لا رجعة لكن المكارثية ما زالت تنتشر. وهنا نحسن استعمال الاصطلاحات: الليفينية والشارونية والكهانية ومن كثرة الأشجار لا نرى الغابة كلها.

اذا كنا اليوم نتحدث عن لقاءات بين عرب ويهود، فلا يمكن ان نتجاهل اصطلاحا جديدا وهو «الهدانية» لرئيس قسم التعليم الديني في وزارة المعارف الذي أصدر أمرا يمنع بموجبه إجراء لقاءات بين طلاب عرب ويهود، موظف كبير في وزارة المعارف، مسؤول ما زال يحتل مقعده، يأمر بحظر اللقاءات خوفا من الاندماج. وحين هبت عاصفة من الاحتجاج اجتمعت لجنة تربية مع الوزير المسؤول ومربين وقرروا ان أوامر هذا الموظف تبدو فظة، ولكن لوجه الله عز وجل، من الأفضل التفريق بين الطلاب، فلا يلتقي الطلاب بالطالبات ولا المتدينون بغير المتدينين، ولتقام بينهم الحواجز ومن خلفها فقط يحيي احدهما الآخر. هذا في صفوف معيّنة وفي صفوف أخرى يكون الوضع أشد، وعندما يكبرون لا يلتقون مطلقا. كل واحد يسير في طريقه. كأنهم بذلك اخترعوا حلولا تربوية عظيمة. دائما يمكن ان تخترع حلولا لمعضلات من هذا النوع، فهنا لا يعيش طلاب عرب فقط وطلاب يهود فقط، يوجد عمال عرب وتجار وعمال مطاعم ومعلمون وسائقو تكسيات وعابرو سبيل من العرب. وسيكون فظا من يصدر أوامر بحظر تشغيل العرب لدى اليهود، وقمع السفر في تكسيات سائقوها عرب، شيء يشبه ظاهرة البيض والسود في ذلك البلد الافريقي التي يغص اليوم «بالشاغبات». وربما يقوم مجلس تربوي ويقرر انه يجب تحديد ساعات عمل البستجي العربي كأن يعمل مثلا بين الساعة الثامنة صباحا والعاشرة حين تكون ربة البيت (اليهودية) قد خرجت الى السوبرماركت أو لنزهة قصيرة مع طفلها أو لزيارة جارتها، وفي محطات الوقود يحظر على العمال العرب العمل بين الساعة الثانية والساعة الخامسة بعد الظهر لأن في هذه الساعات تأتي النساء اليهوديات المتدينات ليملأن سياراتهن بالوقود. وتصدر أوامر مشابهة لبائعي الفلافل والشوارمة، واذا نشأت مشكلة على الطرقات فيتدخل فورا المجلس التربوي ويحظر اللقاءات على أرصفة الشوارع. ويتقرر: رصيف للعرب ورصيف لليهود، فمثلا على الرصيف الأيمن يسير النساء المحافظات وتوضع لافتة: رصيف يهودي متدين، وعلى الأيسر يمشي العرب ويسمى: رصيف عربي يساري. اصطلاحات كالتي نسمعها ونشاهدها ونقرأها في الاذاعة والتلفزيون والصحافة المكتوبة.

اننا نلتقي هنا قبل ان تصدر هذه الأوامر، لا بل، لكي نمنع صدورها، نلتقي نحن الكتاب العرب واليهود، لنجيب على السؤال: ما هو دورنا في النضال ضد الاحتلال والعنصرية.

باسم هيئة تحرير «الجديد» أرحب بكم وآمل في لقائنا هذا ان ننجح، بوضع سد جديد أمام المد العنصري الذي يكتسح مجتمعنا.

في لقائنا هذه لا نواجه صعوبات وعراقيل جوهرية ولكن هناك مشكلة تقنية صغيرة: وهي اللغة. فلكل منا الحق ان يتكلم بلغته، وأما أنا كعريف هذا اللقاء، فسأتكلم باللغتين، العربية والعبرية.

سالم جبران

واجب الثقافة في مواجهة العنصرية

«في أوضاع عصيبة كهذه تكون الخيانة خيانة ويكون الصمت خيانة»..



□ عشية اجتياح ألمانيا النازية لأوروبا، وحين كان الهواء ثقيلا بالسموم والظلام، أطلق الكاتب العظيم والانسان العظيم، الفرنسي رومان رولان صرخته الشهيرة: «في أوضاع عصيبة كهذه تكون الخيانة خيانة، ويكون الصمت أيضا، خيانة».

لست هنا في مجال المقارنات التاريخية ولكني أشير هنا الى ان الأوضاع عصيبة هنا أيضا وتقتضي اليقظة والوعي والشجاعة واستنهاض كل الطاقات الانسانية الدمقراطية الشريفة اليهودية والعربية لوقف التدهور ومنع الكارثة.

ليس بالصدفة ربطنا بين الاحتلال والعنصرية داعين الى مقاومتهما وتصفيتهما. صحيح ان مظاهر الاستعلاء العنصري ضد العرب الفلسطينيين كانت موجودة فكرا وممارسة قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ولكن الاحتلال أعطى اندفاعة مجنونة للعنصرية، حين طلب من كل الشبان الاسرائيليين ان يكونوا غزاة ومحتلين، ان يمارسوا كل أشكال القمع والعسف وهدم البيوت والتجويع والطرد من الوطن. فالضحية ليس العرب وحدهم، بل ان انسانية الانسان اليهودي تتآكل وتضعف. وليس صدفة انه مع الممارسة اليومية للاحتلال تضاعفت الهستيريا القومية وتضاءلت وتقلصت رقعة القيم الانسانية، ازداد الاستخفاف بل الاحتقار للدمقراطية. وفي ظل هذا الواقع، وجنبا الى جنب مع الممارسة العنصرية الفاشية المعادية للعرب، تتكون تبريرات ايديولوجية وسياسية وروحية معادية للعرب. ان نمو التعرّن العنصري الفاشي سياسيا رافقه نمو هذا التعرّن فكريا وفلسفيا ونفسيا.

مؤخرا يتركز الاهتمام حول ظاهرة العنصري الفاشي مئير كهانا وعصابته. ومع كل الأهمية النضالية لمواجهة عصابة كهانا فاننا نؤكد ان عصابة كهانا هي ذيل الوحش، ويجب التفتيش عن رأس الوحش في الممارسة العنصرية والفكر العنصري اللذين يتغلغلان بشكل متدفق في أعلى الدوائر الحاكمة، في المؤسسة الحاكمة، في الأحزاب الصهيونية الرئيسية، مع ان في «العمل» أوساطا رافضة لهذا السّبب العنصري المجنون المنفلت من كل عقال.

إزاء هذا الوضع فاننا نقول بكل ألم وقلق، انه بينما يحاول الفاشيون العنصريون السيطرة على الشارع، مشهرين قبضات فاشية سوداء، كقبضات زملائهم في أوروبا في أواسط القرن، فان الرد على العنصرية الفاشية غير كاف.. لا يكفي ان يقول أنصار الدمقراطية اليهود مواقفهم في مقال أو منشور أو عريضة بل يجب ان تنزل الى الشارع حركة مكافحة، يهودية - عربية، واسعة الى أقصى حد ممكن، فمقابل الممارسة الفاشية يجب أن لا يقف على التعبير عن رأينا وموقفنا فقط، بل يجب ان تولد وحدة نضالية مستعدة لمواجهة الفاشية. ان تجربة السنوات القليلة الماضية، وقفة أم الفحم، وقفة الطيبة، وقفة إكسال، وقفة كفرياسيف وغيرها تثبت ان الشعب حين يقف موحدا، واعيا وشجاعا، تتراجع أوباش الفاشيين العنصريين أذل وأجبن من الفئران. والجماهير العربية مدعوة، أكثر من أي وقت مضى، ان تصون وحدتها الشعبية النضالية، الجبهوية، دفاعا عن كل مكتسبات المرحلة السابقة ودفاعا عن البقاء كله والمستقبل كله!

وأخيرا وليس آخرا، بعض الملاحظات حول دور الكتاب والشعراء والفنانين وأساتذة الجامعات وكل المثقفين الانسانيين، نحن مدعوون الى الانطلاق في هجمة فكرية سياسية، لخلق مناخ المقاومة للعنصرية الفاشية تمهيدا لبناء الجبهة العريضة المعادية للفاشية. يجب أن نذهب الى كل مدينة وقرية وكيبوتس ومستوطنة، الى اليهود والعرب، لكشف أخطار الفاشية كاملة، وهي أخطار لا تهدد العرب فقط، بل تهدد اليهود أيضا. الفاشية العنصرية تبدأ بالبطش ضد الأقليات القومية وضد اليسار وفي آخر الأمر فان كل أعداء العنصرية والفاشية، بما في ذلك الوسط الليبرالي، يكونون مهددين فكرا ونشاطا سياسيا وحياة.

اننا مدعوون ان نخلق أدبا وفكرا وثقافة تنشر المحبة والاخاء والتعاون والاحترام بين الشعبين. ونود ان نقول لاخواننا اليهود الدمقراطيين بكل صراحة ان العنصرية الفاشية تهددنا بأبشع الأخطار. ولكن العنصرية الفاشية اذا تغلغلت وانتشرت وسيطرت في اسرائيل فهي تهدد بقاء الشعب الاسرائيلي ودولة اسرائيل. ويجب ان نوقظ كل القوى اليهودية المعادية الرافضة للفاشية والتي لا تزال بأكثريتها الساحقة «صامتة» و «نائمة».

ان واجب الساعة الملقى على أكتافنا، جميعا، هو ان نعمل، ان نصل الى كل مكان، بوحدة يهودية - عربية حتى نستأصل جذور العنصرية من كل مكان ونبني حياة التعاون والتعايش بين اليهود والعرب في داخل اسرائيل، بين الشعب الاسرائيلي والشعب العربي الفلسطيني، بين اسرائيل وكل شعوب المنطقة. ان العرب واليهود، حين يقومون بهذه المهمة، فهم يخدمون أقدس وأنبل المصالح القومية لكل شعب من الشعبين، أصدق وأنبل القيم الانسانية والدمقراطية □□

البروفيسور ساسون سوميخ :



يجب أن نتوحد ونثابر في العمل

لست أديباً ، فأنا باحث في الأدب ، ولا أحب الانشغال كثيراً بالسياسة كذلك فانني لست خطيباً ولكن عندما دعيت للمشاركة في هذا اللقاء استجبت بدون تردد لسبب بسيط هو انني أعاني من ضائقة حيث أرى في الآونة الأخيرة انهيار القيم التي نشأنا عليها وأردنا أن نطوّرها . انني أشاهد في الأفق خطر كارثة محدقاً وأود أن أتكلم مع أناس يفكرون مثلي لتتحسن حالتي النفسية ولعمل شيء ما .

لا أريد أن اعبر فقط عن مشاعري ، سأحاول كبت هذه المشاعر لأعبر عن أفكاري بوضوح . فموضوع هذا اللقاء هو الاحتلال والعنصرية . إن هذين الاصطلاحين يكمل احدهما الآخر . لقد كشفت لنا هذه الحقيقة مباشرة بعد الاحتلال عام ١٩٦٧ . كان هناك يهود متعقلون حذروا من هذا الاحتلال وأود ان أذكر اسم أحدهم وهو يشعياهو لايبوفيتش الذي تكلم بوضوح والكثيرون لم يصدقوا كلامه في ذلك الوقت واعتبروه استفزازيا وانهزاميا .

انه أمر واضح ان هذه الظاهرة بدأت مع الاحتلال مع انه كانت لها جذور من قبل ، ولكن الاحتلال شحنها وحولها الى عملية تاريخية .

في السنوات الثماني عشرة الأخيرة تعمقت الاتجاهات الاكليريكية بأشكالها الشوفينية والعنصرية التي تتجسد في حركة «غوش امونيم» وغيرها من الحركات التي تدعي ان لها كل هذه الأرض وان الله وهبها إياها ولا حق لأي شعب آخر عليها .

هذه هي البداية وهذا هو المضمون . فعندما نفخ الراب غورن بالبوق عند حائط المبكى أطلق العنان لهذا التسيب الذي نراه اليوم . لقد توقفوا عن الحديث عن «دولة اسرائيل» وصاروا يتحدثون عن «أرض اسرائيل» ولا يتحدثون عن «الضفة الغربية» بل «يهودا والسامرة» وقطاع غزة حتى ان رجالاً لا ينتمون الى اليمين يستعملون هذه الاصطلاحات السياسية عفوياً . هذه هي الطريق التي أوصلتنا الى ظاهرة كهانا . ان ظهور كهانا جعل قوى يمينية عنصرية شوفينية مثل غيئولا كوهين وغيرها يبدون معتدلين

بالمقارنة مع نظريات كهانا . وما يقلقني هو صمت القوى المناهضة للكهانية . وقد قال سالم جبران وبحق ، ان الأكثرية بين الشعب اليهودي ليست عنصرية ويجب توحيدها . ولكنها صامتة بين الكتاب والمثقفين فبين الحين والآخر ينظم نشاط صغير ضد العنصرية كالتوقيع على عرائض أو مظاهرات ولكن لم يقم قائد بين هذه الفئات ليوحدها وينشطها لتشكل قوة رادعة في مواجهة اليمين والعنصرية .

حزب المعراخ أصابه الصمت وقسم من قياداته انجر وراء هذا الخط العنصري المتطرف واليوم في حزب العمل لا توجد قوة موحدة تستطيع التصدي لكهانا . هذا يقلقني كثيراً . كذلك جهاز التعليم الذي تطلق منه أصوات عنصرية لموظفين كبار وقد أشار اليها سلمان ناطور في كلمته ، فالمعلمون الذين كانوا مثاليين اليوم ليسوا مستقلين في أفكارهم ولا يشكلون عاملاً متفقاً ، لأنهم انجروا أيضاً في هذه الموجة العنصرية . هناك عدد من المعلمين التقدميين ولكنني أتحدث عن المعلم المتوسط العادي .

علينا ان نعمل سوياً ، يهود وعرباً ، يجب ان تنشأ بيننا قيادة مثابرة في نشاطها ولا تكتفي بإصدار منشور أو لقاء هنا وهناك وإنما يجب العمل دائماً وسوياً .

إننا نعيش حياة مشتركة ولا يمكن لأحدنا ان يعمل بمعزل عن الآخر . بعد سبع وثلاثين عاماً حيث لم نعمل سوياً في أطر واسعة فإن على قيادة الانتلجنسيا والكتاب والمحاضرين في الجامعات والذين يؤثرون في الرأي العام ، عليهم ان يتواجدوا وينشطون في مواجهة هذه الأخطار .

انني أحس بمسؤولية ان أعمل بين أبناء شعبي اليهودي . لنعمل شيء ما قبل ان يكون الوقت متأخراً . كذلك أتوجه الى زملائي الكتاب العرب الاسرائيليين لأذكرهم بأنهم كتاب اسرائيليون وأما الكتاب المشاركون من الضفة الغربية فليس لدي ما أقوله لهم ، فهم يعانون ظروفاً صعبة وعليهم ان يدافعوا عن أنفسهم .

فالكتاب العرب الذين يعيشون معنا ، يعرفوننا ويعرفون الشعب اليهودي ولذلك أقول لهم : رجاءً لا تتركونا نعمل لوحدنا . ولا تستهينوا بمشاعرنا تجاه التطرف في الجانب الآخر . انني لا اتهم أحداً هنا ولكنكم لا شك تعرفون قصدي فهناك قوى متدينة وسياسية متطرفة في الشارع العربي واذا راجعت الصحف العربية التي تصدر خارج اسرائيل فانني بسهولة أكتشف مظاهر ذات طابع عنصري ولا سامي . وأود أن أذكركم ان كل ذلك يصل الى القارىء العبري ويشجع التطرف في الجانب اليهودي .

انتم الكتاب العرب تتحملون مسؤولية عدم السكوت على الارهاب ، عليكم ان تردوا على التطرف في الشارع العربي . ففي أكثر من مرة عندما كنت أسأل أحد الزملاء من الكتاب العرب لماذا سكت على ظاهرة معينة او على قصيدة ضد اليهود . فيجيبني : هذه ليست مهمتي لأنني انا الضحية !

ان هذا التوجه خاطىء ويشجع التطرف عندنا . ولكن في نهاية الأمر ان الخطر ليس على العرب وحدهم بل على اليهود أيضاً ، وعلى الشعب اليهودي ان يستيقظ . كذلك فإن على المثقفين ان يقدموا أكثر وألا يكتفوا بالقول : لقد وقعت على عريضة أو شاركت في مظاهرة ، وبهذا قمت بواجبي . يجب ان يعملوا أكثر .



كلمة اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع المحتلين ، ألقاها الشاعر خليل توما

سنوات طويلة من القهر...

لكن الكلمة لم تقهر

لم تكن المسافة من القدس الى حيفا طويلة ولم تكن صعبة الا ان الأمر استغرق سنوات طوالاً لنكون معكم هنا باسم اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . مسيرة طويلة من التعب والمعاناة تجسد إصرار كتابنا على ان يكون لهم إطارهم الذي يوحد جهودهم وينسق نشاطاتهم .

قد يبدو ابراز هذا الأمر مستغرباً ، ففي ظروف طبيعية لأي بلد يكون من

الطبيعي في عصرنا الحاضر أن يتمكن أي قطاع من الشعب حقه في تشكيل الإطار الذي يعمل من خلاله والذي تلتئم ضمنه الجهود المشتركة لخدمة الهدف المشترك ، الا ان الأمر ليس كذلك في ظروف شعبنا الفلسطيني الذي عانى منذ مطلع هذا القرن وامتدادات لقرون سابقة أيضاً من كافة أشكال الاضطهاد والقمع والتغييب والاذابة واستطاع من خلال إصراره ان يحافظ على بذرة خصبة رغم الظفر ولا يدعي أحد أن ذلك كان منة من سلطان وتغافلا متعمداً من بسطار جندي يشمخ بخوذته من قهر الأغوار الى قمم جرزيم وعيبال . بل كان ذلك تحدياً للأغلال التي إن تكن قد قيّدت ايدينا فإنها لم تتمكن من تقييد أرواحنا او منع شفاهنا من النشيد لفجر جميل مرتقب .

وقبل غيمة الاحتلال السوداء التي تظلل بلادنا ، عبرت سماءنا غيوم مماثلة كثيرة ، فما بين انتداب واحتلال اعتقلت أيضاً الكلمة الحرة ، ومورس* بحقها الارهاب والتهديد والاعتقال وزيفت كثيراً . منابر كثيرة أقيمت ولكن الكلمة الحرة الأمينة منعت من الاقتراب منها ، أوراق كثيرة امتلأت بها شوارع الا انها لم تفتح منفذاً ولو لشعاع واحد صغير ، وظلت غريبة عن قلوب الناس . فتناثرت في العاصفة المقبلة . اما الكلمة الحرة الأمينة فقد استمرت في اداء مهمتها بعيداً عن الأضواء الرسمية والضوضاء الاعلامية الا انها حظيت بقلوب الناس . ثم كان أن جيلاً جديداً قذفت به الحياة التي لا تتوقف فترعرع ما بين العصا والزنزانة . وها هو الآن يجدد العهد للجذور ، بأنه سيحمل الرسالة بيده ولن يفرط بها أبداً . لأجل ذلك كان اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة . ونحن فخورون بأن هذه التجربة قد تكللت بالنجاح أخيراً في ٨٤/١١/٢٣ .

لقد أكد اتحادنا في بيانه التأسيسي وفي نظامه الداخلي ارتباط كتابنا بالثقافة الانسانية والتقدمية وانفتاحهم عليها . إن ابداعهم الادبي هو رافد من روافد هذه الثقافة وعصارة المعاناة البشرية والشغف الانساني بمستقبل أفضل خالٍ من الاضطهاد والظلم ومن الحروب والأوبئة الاجتماعية . مستقبل يسوده العدل والسلام والاخاء بين الشعوب . وإن اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة إذ يؤكد خصوصية مهامه الوطنية بوصفه اتحاداً لكتاب يعملون في أرض محتلة ، فانه يؤكد أيضاً ذلك التلاحم الأصيل مع نضالات الكتاب الفلسطينيين في الخارج ومع نضالات قوى التحرر الوطني والقوى المناوئة للامبريالية ويؤكد وقفته ومشاركته لكل القوى الوطنية التي تعمل من أجل تصفية الأنظمة الرجعية والديكتاتورية وإلغاء القواعد العسكرية ومنع أسلحة الدمار التي تهدد الوجود البشري على هذه الارض . وليس ذلك أمراً طارئاً ، على كتاب فلسطين ولا شعبها ، بل هو قناعة ولدتها التجارب النضالية المريرة التي خاضها هذا الشعب دفاعاً عن وجوده في وجه أعتى هجمة استهدفت خلعه من جذوره . لقد آمن شعبنا أن معركته هي جزء من المعركة الضارية التي يحتدم أوارها في أرجاء كوكبنا بين قوى الاستعمار والامبريالية والرجعية من جانب وبين قوى التحرر والسلام من جانب آخر . وليس شعبنا وكتابنا في الطليعة من أن القوى التي تشن عليه الهجمات المتواصلة لاجتثاثه وتكريس استعباده وشقائه ، هي القوى

نفسها التي تقف وراء التصعيد الحربي والعسكري في منطقتنا وفي العالم وتقنص خيرات الشعوب الاخرى وتعتدي بفظاظة على حرياتها واستقلالها وحقها في تقرير مصيرها وبالتالي فان الخندق الذي يلتزم كتابنا بالتواجد فيه والقتال منه هو خندق الشعوب المناضلة عن حياتها وعن السلام والأمن وهو الخندق الذي تلتزم بمعطياته الايديولوجية ومنطلقاته الثقافية والفكرية .وفيه تجتمع معكم الآن وبكل اصحاب الرسالات الشريفة وحملة الاقلام المناضلة أولئك الذين اطلقوا الكلمة بالميدان ووظفوها من اجل الدفاع عن أثمن ما في هذا العالم كله ألا وهو الانسان . في هذا الخندق نتعلم ومن أجل انتصاره نكتب ونعمل . منه نستمد الدعم والتأييد وإليه نقدم ثمار عرقنا ودمنا .

يتعرض شعبنا منذ ثمانية عشر عاماً ، كما تعلمون ، الى حملة شرسة منظمة ، ويتعرض كتابنا في الارض المحتلة وثقافتنا وحضارتنا الفلسطينية الى هجوم لم يتوقف أبدا يهدف الى تحطيم مقوماتنا كشعب له كل الحق أسوة بشعوب العالم كله بالعيش بأمان واطمئنان على تراب وطنه وتقرير مصيره دون سيطرة أجنبية أو ارهاب أو هيمنة عسكرية . لقد قدم كتابنا الملتزمون بقضايا الحرية والسلام والمنخرطون ، أسوة بجماهير شعبهم في الدفاع عن قناعاتهم وطموحاتهم المشروعة تضحيات كبيرة وهم مستمرون في ذلك . فخلال سنوات الاحتلال تعرض العديد من كتابنا للاعتقال لمدد مختلفة ، وتم نفي آخرين عن أرض الوطن وتعرض آخرون الى أوامر الاقامة الاجبارية التي تقيد حرياتهم وتحرمهم من فرص العمل والعيش الآمن . كما تعرضت الكلمة الشريفة للمحاصرة ومنعت من الوصول الى جماهيرها لاداء رسالتها ودورها الحضاري .

ولاجتثاث جذور التواصل ما بين شعبنا داخل الارض المحتلة وامتداده في المنافي وما بينه وبين التراث الانساني والتقدمي في العالم حرّم الاحتلال تداول آلاف الكتب ومنعها من الوصول الى أيدي جماهيرنا وكتابنا .

ولم يكتف بذلك بل قدم العديد من أبناء شعبنا ومن كتابنا الى المحاكمات بسبب إقتنائهم لكتب سجلتها سلطات الاحتلال على القائمة السوداء خارج حدود القدس العربية . انطلاقا من قرارها المرفوض عالميا بضم القدس ، واعتبرت امتلاك هذه الكتب المنشورة في البلاد تهمة يستحق مقترفوها أن يدانوا بسببها ويعاقبوا .

كما تتعرض صحفنا ومجلاتنا الى قمع تتصاعد اجراءاته بشكل حاد فبالاضافة الى منع تداول عدد منها داخل مناطق الضفة الغربية باستثناء القدس وبالاضافة الى العقوبات المسلطة على رقابها وتهديدها بالاغلاق . فان قلم الرقيب يشطب كل ما لا يروق له ، ويمنع كل ما من شأنه ان يترجم احاسيس الشعب الثائر التوّاق للحرية والسلام وكل ما يعبر عن رؤيته المستقبلية وعن اهدافه . إلا ان كل المحاولات الاحتلالية لتدجين كلمتنا لم تفلح في ذلك وهي محكومة بالفشل ، لأن عزة الكلمة هي من عزة شعبها الذي لم يتمكن قهر قرن كامل من القضاء عليه واسكاته .

ليس ذلك فقط بكل مجالات الحياة الأخرى في الارض المحتلة تتعرض لاشكال متنوعة من الاجراءات القمعية المستهترة والتي لا يمكن ان تقوم بها سلطات تفكر ابعد من انفها قليلا أو تكن

للسلام قليلا من الاعتبار . فالارض الفلسطينية تتعرض للسلب والنهب بحجج مختلفة لاقامة المستوطنات على أشلاء الشعب الفلسطيني ويجري غرس هذه الحراب في قلب السلام لتكريس أمر واقع يرفضه شعبنا وقوى التحرر والتقدم في العالم . كما تتعرض ايضا حقول أخرى كالتعليم والصحة والاقتصاد والعمل العربية وغيرها الى اجراءات تهدف الى منع تطورها ووقف فعاليتها وبالتالي الاجهاز عليها .

ولقد علمتم مؤخراً كما علمنا بالاجراءات القمعية المجددة والمطورة التي اعلنت السلطات العسكرية على تطبيقها ، بل باشرت بذلك فعلا كابعاد المواطنين والاعتقالات الادارية والاحكام التعسفية الخيالية واطلاق سوائب المستوطنين المسلحين وحوادث اغتيال العرب التي تؤكد ان أولئك يأخذون القانون بأيديهم واغلاق الصحف والجامعات والاعتقالات العشوائية في صفوف الطلبة والتهديد بمسح المخيمات الفلسطينية من الوجود وما الى ذلك قائمة طويلة .

ان الجحيم الذي تعيشه المناطق المحتلة لا بد أن يدفع الى التساؤل الى متى ؟ الى متى حمام الدم هذا الذي يستهلك بسرعة ووحشية كل ما هو اطهر ورائع وجميل لدى شعبينا ، وان بكاء ام ، عربية كانت أم يهودية ، حسرة على ابنها أو زوجها هو صك إدانة للسياسة العدوانية الاسرائيلية التي ما انفكت تتنكر لحق الشعب الفلسطيني في العيش بسلام وتقرير مصيره بنفسه ضمن دولته المستقلة .

هل هناك بديل لكل ذلك ؟ نعم ، نعتقد جازمين ان هناك بديلاً واضحا وأكيداً بامكانه أن يجعل منطقتنا جنة على هذا الكوكب يسودها السلام والاخاء والاستقرار والازدهار وتعيش فيها شعوبها بأمان واطمئنان وذلك اذا ما تم الاعتراف بحقوق شعبنا الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة وزوال الاحتلال البغيض . واذا ما اندحرت السياسة التي تنفذ أوامر الامبريالية وتقدم لمصالحها الخدمات وترتبط بها وبمشاريعها العدوانية والحربية في العالم .

ها هناك بديل ؟ نعم ، يوجد بديل وعلى كل كاتب شريف ان يقول كلمة الحق والصدق وان يكون أمينا مع نفسه وشعبه . لا يمكن ان يكون هنالك سلام واحتلال في الوقت نفسه ولا سلام مع استمرار التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني .

ماذا نفعل ؟ في اعتقادنا ان كافة القوى الدمقراطية والتقدمية والقوى التي تعز عليها قضية السلام مطالبة بالتصدي للسياسة الرسمية الاسرائيلية المنكرة للسلام مطالبة بتوسيع صفوفها على قاعدة الرفض التام للاحتلال ، مطالبة برفع صوتها بجرأة بأنه يجب الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني والعمل على تخليص المنطقة من البراثن الامبريالية وأدواتها التي تستهين بدماء الابرياء من أجل بناء مستقبل جديد آمن لشعوب المنطقة كافة تنعم في ظله الاجيال القادمة دون خوف أو تهديد بالابادة .

اننا نحيي بصدق كل القوى الشريفة التي تقف الى جانب نضال شعبنا ونرى فيها سنداً ونصيراً .

معاً من أجل الهدف المشترك في إقامة سلام عادل ودائم ومستقبل آمن خالٍ من الحروب وسفك الدماء .. معا للخلاص من لعنة الاحتلال التي تجر منطقتنا الى الهاوية .

بورام كانيوك :

لنبحث عن المشترك بيننا وليس المميز..



منذ مدة طويلة لم تتم لقاءات كهذه بين كتاب عرب ويهود . وقد سألت زملائي من الكتاب العرب الذين تربطني بهم علاقات مثل سالم جبران واميل حبيبي ، لماذا لا نجدد اللقاءات بيننا . وها هو لقاؤنا هذا يأتي بعد فترة طويلة وعلى الرغم من انه يبدو لقاءا احتفاليا الا انني أرجو ان يكون بداية لسلسلة لقاءات .

قبل عامين كانت محاولة للقيام بنشاط لمواجهة العنصرية وقد تشكلت اللجنة ضد العنصرية . وكان بين المبادرين مروان دويري ولجنة الاكاديميين في الناصرة وانضم الينا ممثلون من «راكاح» و«راتس» و«الشكسينت» و«مبام» وآخرون وحاولنا ان نعمل سويا ولكن نشاطنا لم يستمر . لقد أردنا ان نعمل سويا ضد كهانا وان نقوم بنشاطات متعددة ولكننا لم ننجح لأن هناك أسبابا كثيرة فرقت بيننا .

على الرغم من الأمور التي تميز بيننا ، إلا ان هناك أمورا كثيرة توحدنا مثل النضال ضد العنصرية والتمييز العنصري والاحتلال .

لقد سئلت الأخت تريزا التي حصلت على جائزة نوبل للسلام : «ماذا تقومين بكل هذه النشاطات» ؟ فأجابت : «لأن في قلب كل انسان منا يختبيء هتلر صغير» . اننا لا نحب ان نسمع هذه الكلمات ولكنها حقيقة ان في قلب كل انسان منا يختبيء عنصري صغير . ويجب الا نستر على هذه الحقيقة .

والسؤال : ماذا نفعل بهذا الشيطان ؟ هل نتعايش معه ، ام نكافحه .

فاليوم إزاء كل مظاهر العنصرية حيث ان ٦٠٪ من مواطني اسرائيل يؤيدون اطلاق سراح اعضاء منظمة الارهاب اليهودي ويتزايد تأييد كهانا والتطرف ونقترح قوانين كقوانين نيرنبرغ . إزاء هذا الوضع يجب الا نبحث عما يفرق بيننا بل عما يوحدنا ولا الحديث عن الكتاب والمثقفين فقط بل عن كل الذين يدركون هذا الواقع . فماذا يهم ان تكون شيوعيا أو غير شيوعي أو متكديت او راتس . هناك امور كثيرة يمكن أن نوقع عليها جميعا مثل حقوق الانسان والنضال ضد الاحتلال والتطرف القومي والديني . ولكن لأسفي الشديد لم ننجح . وعلى الرغم من اننا قمنا بعدة نشاطات في المدارس وغيرها . في السابق عندما اقمنا اللجنة من اجل عودة أهالي اقرث وكفر برعم . نجحنا وعملنا سويا . ففي الماضي نجحنا في العمل مع بعض ، يهوداً وعرباً ، على الرغم من اختلافات في العديد من وجهات النظر بيننا .

اليوم حيث تتفشى العنصرية هناك ضرورة للبحث عما يوحد بيننا .. نحن العرب واليهود لكي تقوى الأصوات العقلانية يجب مواصلة اللقاءات بيننا ، لتوسيع الأطر المشتركة . فاذا نجحنا اليوم أن نخطو الخطوة الأولى فاننا بهذا نكون قد عملنا شيئا هاما .

إميل حبيبي

يجب مواصلة اللقاءات .. فواجب الساعة مكافحة خطر العنصرية



اسمحوا لي أن أحيي الأشقاء الذين وصلوا من المناطق المحتلة . ويسرنا انهم تمكنوا من الوصول الى هنا . انهم حتى الآن لم يتجاوزوا الصفوف التي تجاوزناها نحن منذ عام ١٩٤٨ ولذلك فانهم لم يتعلموا اللغة العبرية بعد .

أشعر هنا ان كل واحد يتحدث الى نفسه. فقد تكلم العرب بلغتهم العربية والعبريون بلغتهم العبرية. الكتاب القادمون من المناطق المحتلة لم يفهموا كلمات الكتاب العبريين والاخوان اليهود لم يفهموا كلمات الكتاب العرب. واما نحن العرب الذين نعيش في اسرائيل فنفهم كلمات الطرفين. نود أن ننطلق من هذا اللقاء باقتراحات عملية فهناك حواجز سياسية بيننا ويجب أن نحطمها. إحدى هذه الحواجز هو الزعم، الذي يصرح به البعض وهو انه لكي تكون مقبولاً في اسرائيل فعليك ان تكون إما معاديا للشيوعية أو للاتحاد السوفييتي أو ترفض العمل مع الشيوعيين.

والحقيقة هي ان من يريد الجلوس مع القوى الديمقراطية العربية في هذه البلاد والمناطق المحتلة لبحث موضوع التعايش السلمي هنا فلا مناص أمامه إلا الاعتراف بأن الشيوعيين فقط على استعداد للمضي في طريق التعايش الصحيح بين اليهود والعرب.

إن هذه الحقيقة قد تضايق البعض، ولكنها هي الحقيقة. فاليهود والعرب هما شعبان فخوران. اليهود يفاخرون بأنفسهم وبحق والعرب أيضا يفاخرون بأنفسهم وتراثهم والعرب الفلسطينيون والقوى بمستقبلهم ولذلك فان التوجه الى قضية التعاون في النضال ضد الاحتلال والعنصرية لا بد ان ينطلق من هذا الأساس.

اقترح ان ننظم ليس فقط لقاءات كهذه وإنما لقاءات مختصرة أكثر للاعداد لعقد مهرجانات أدبية كبيرة، يهودية عربية. أذكر مثل هذه اللقاءات التي عقدت في السابق في تل أبيب وقد حضرها كتاب من المناطق المحتلة وكتاب يهود وعرب وكانت مجدية جدا.

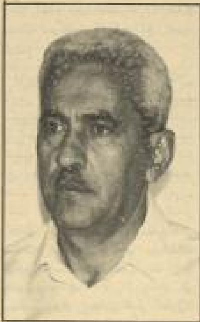
أقترح أن نباشر بتشكيل حلقة مصغرة تعد لمثل هذه اللقاءات ولا مانع ان يشترك كتاب صهيونيون بشرط ان يوافقوا على العمل المشترك في هذا الإطار.

هذا ضروري وقد قيل هنا ان الخطر ليس على العرب وحدهم وإنما على الجميع فالواجب هو مكافحة هذا الخطر.

انا لا أصدق ان مجزرة تنفذ «كفورة دم» هنا لم يحدث في البلاد ولا خارجها وفي كفر قاسم لم تقع المجزرة نتيجة خطأ في إصدار الأوامر. وما حدث في العفولة، كما اعترف رئيس البلدية، لم يقم به أهل العفولة فقط، بل قام به أناس من خارج المدينة، من تسيرت عيليت ومجدال هعيمق وبيت شان، معروفون للشرطة ولو أرادت ان تمنع ما حدث لفعلت. ولكن لم يكن مصادفة ان صرح قائد الشرطة بأنه يخشى ان تنتشر هذه الأعمال خارج العفولة. فماذا يعني هذا القول من قائد شرطة المنطقة؟

ان الشعب اليهودي ليس هو الذي قام بهذه الأعمال وإنما شرطته. ففي زمن الانتداب وقعت مثل هذه الحوادث بتشجيع من السلطة الحاكمة.

أشكر «الجديد» على هذه المبادرة وأحيي الكتاب العرب واليهود على حضورهم والتعبير عن مواقفهم وآرائهم وأرجو ان تستمر لقاءاتنا لأنها ضرورية للشعبين.



دور الكتاب العرب واليهود في مواجهة الاحتلال والعنصرية

سليم خوري

لاحظتم ولا شك تأكيد «الجديد» في دعوته على «دور الكتاب العرب واليهود في مواجهة الاحتلال والعنصرية». هذا الموضوع عالجه الكثيرون. قالوا فيه وكتبوا فيه. ولست أفضل من الآخرين الذين حاولوا اعطاء هذا الموضوع حقه. ولكني أود لو أستطيع التأكيد على نقطتين او ثلاث.

ان الجمع بين العنصرية والاحتلال معادلة ناجحة وناجحة جدا في تصوير الوضع.

الاحتلال والقصد به هنا احتلال الأرض واحتلال العقل. فالصهيونية عملت منذ زمن على احتلال الأرض دون ان تأخذ بعين الاعتبار أي اعتبار لهذا الشعب الفلسطيني الذي يعيش على أرضه وفي وطنه. ولكي ينجح هذا التخطيط أعدت العدة والعتاد. فتدفقت الأموال لاقتناء واعداد آلات الحرب والدمار لاحتلال الأرض. لكن هذا لا يكفي لجعل الانسان، أي انسان يعمل على ابادة وترحيل شعب كامل واحتلال أرضه. رأت الصهيونية انها بحاجة الى غذاء الى فيتامينات والى شحنات تحتل العقول. فبحثت عن مصادر مختلفة وعن قوى أخرى. ومن تلك القوى التي تحالفت معها كانت القوى الاكليريكية التي امدتها بقوالب مختلفة ولكنها متشابهة. فأقيمت المصانع وأجريت الاختبارات الاجتماعية والنفسية لتنتج نوعا من البضاعة يلائم الحال.. فظهرت الى أسواق العقول هذه القوالب المشوهة. أعني بهذه القوالب المشوهة تلك الصور العقلية التي يحملها او يختزنها أفراد ينتمون الى مجموعات معينة وتمثل رأيا مشوها فيما يتعلق بشخص أو عرق أو قضية ما. وهذا معروف سيكولوجيا باسم السثيريوتيبا ستيريوتيب = العربي سارق. العربي كذاب. العربي مخرب. العربي يريد رمي اليهود في البحر. العربي العربي. الى آخر هذه الاصطلاحات.

هذه الستيريوتيبات أو الصور الذهنية المشوهة التي صنعتها القوى الرأسمالية بشراكة القوى الاكليريكية غزت الأسواق. فحشت العقول الضحلة بها تماما كما تعلب المصانع المختلفة السردين والفواكه والخضار. وهذا جعل العقول تحت احتلال هذه الصور الذهنية الخاطئة. ومن هنا كان الاحتلال يسير في خطين متناسبين طرديا. فاحتلت الأرض واحتلت العقول. والأصح القول احتلت العقول اليهودية أولا ثم الأرض العربية ثانية.

وقد اصبح واضحا للجميع ان كل تعاون بين هذه القوى الرأسمالية وبعض القوى الأكليريكية سيكون احدى محصلاته صناعة هذه الصور الذهنية الخاطئة او الستيريوتيبات لاحتلال العقول.. والغاية اثارة العنصرية والطائفية والكراهية وبالتالي جني مكاسب سياسية ومادية. وهناك أمثلة واضحة في أماكن مختلفة من العالم. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر اسرائيل ولبنان وايران.

ولم يعد مجال للشك بأن نجاح هذه القوى لا يمكن أن يتم الا اذا قضت على القوى العقلانية والقوى الانسانية النيرة في كل مكان.

ومن هنا فان هذه القوى النيرة من العرب واليهود ستجد نفسها في النهاية - وآمل الا يكون ذلك في النهاية - مضطرة بعامل الحتمية للوقوف معا وفي خندق واحد ضد كل حركة او دعوة الى العنصرية او الطائفية والكراهية وهذا هو دور الكتاب العرب واليهود.

واجب القوى النيرة عربية كانت أم يهودية أم عالمية مقاومة هذا الاحتلال بنوعيه. واجبها التصدي لهذا الاحتلال ومقاومته ومقاومة مصادره أيا كانت، مقاومة رأس المال الذي يمد هذه القوى بالمصانع الحربية والاجتماعية والسيكولوجية للقيام بعمليتي احتلال الأرض واحتلال العقل.

ان الهجمة العنصرية والهادفة الى ترحيل العرب والقضاء عليهم لقضية تخص الانسان اليهودي قبل ان تخص العربي. ذلك لأن هذه الهجمة لا يمكن ان تتم الا اذا تم احتلال الفكر اليهودي بهذه الصور الذهنية الخاطئة. الا اذا تحول الانسان اليهودي الى عبد طيع هذه الستيريوتيبات وبذلك يخدم مصالح بعيدة كل البعد عن مصالح شعبه.

كذلك فان الحركات الطائفية المقيتة التي تظهر بين العرب احيانا تخص العرب أكثر من غيرهم لأنها تجعلهم عبيدا لذات الأفكار والصور الذهنية الخاطئة المتعلقة بالأفراد والجماعات.

وان كانت الهجمة العنصرية قد استعرت في هذه الايام وان كانت قبضة الاحتلال قد اشتدت في هذه الأيام ايضا فان واجب هذه القوى النيرة اعتبار نفسها في خندق واحد والصمود في هذه المعركة. المعركة المصيرية.

هذه القوى النيرة واجبها الا تيأس. ولن يكون الكاتب اليوناني الذي عاش قبل المسيح بـ ٥٠٠ سنة تقريبا بأكثر منها تفاؤلا في هذه المعركة.

في ذلك الوقت هجم الفرس بقيادة اكسرزكسيس باعداد جبارة لاحتلال اليونان. وعند مضيق ثيرموبيل وقف ثلاثمائة من الاسبارطيين ومنعوا تقدم الجيش الفارسي. وعندما اشتد الهجوم الفارسي، عشرة آلاف رام اطلقوا سهامهم في وقت واحد، لدرجة ان هذه الأسهم قد حجبت نور الشمس عن الاسبارطيين. وبذلك ألقت ظلالا كثيفة عليهم. ظلال الرعب وظلال الموت.. ولا بد للمرء الضعيف في هذه الحالة من اليأس والفرار من ظلال الموت. وكان رجل الساعة، كان المؤلف الاسبارطي المشهور «ديتكس» بين الثلاثمائة مقاتل، اثاره المشهد، فقال «هذا افضل لنا بكثير. فنحن نحارب في الظل» وقف الثلاثمائة الذين يحاربون في ظل الموت حتى الموت. وكانت نفوسهم تزداد قوة كلما ازدادت شراسة المحتلين هجوما.

فاذا قلت اننا نقف في الظل متصدين لهذه الهجمة العنصرية فانا لا أعني اننا نقف في ظل احد او نقف تحت حماية احد، ولكننا نقف في ظل الموت.. ظل الطرد.. ظل الابادة.. مع كل القوى اليهودية النيرة التي تسعى الى تحرير العقل اليهودي من أي احتلال فكري.

وهكذا فان القوى العربية النيرة والقوى اليهودية النيرة ستجد نفسها في خندق واحد لمقاومة كل انواع الاحتلال. انها معركة المصير، مصير الشعبين.

وفوق ذلك فان هذا يجب أن لا ينسينا واجبنا في الدفاع عن حقنا والمطالبة بارجاع الأرض واخذ كل الحقوق.

ودور الكتاب والصحفيين والمفكرين البحث عن الحقيقة.. الحقيقة العلمية التاريخية الاجتماعية. فالحقيقة قادرة على كشف الأغطية. وقادرة اذا ساعدناها على وضع كل في مكانه.. وليكن شعارنا في معركة البقاء هذه = اللاعنصرية، واللاطائفية، الغاء كل انواع الاحتلال، احقاق الحقوق والتحرر من كل المعادلات الخاطئة التي تعيق مسيرتنا.

(حيفا)

احزان في ربيع البرتقال

بقلم : وليد أبو بكر

[الكاتب الفلسطيني وليد أبو بكر أعد دراسة عن الأديبة الفلسطينية الراحلة سميرة عزام بعنوان : «أحزان في ربيع البرتقال» - دراسة في فن سميرة عزام القصصي ستصدر قريبا.

(١) عن القلب.. وما يحمل :

■ ليس هنالك خلاف على أن سميرة عزام هي رائدة القصة الفلسطينية الحديثة، وأنها واحدة من أهم الأصوات القصصية العربية، في المرحلة التي نشطت فيها، خاصة اذا ما قيس انتاجها بما قدمته المرأة العربية في هذا المجال. ومع ذلك فان حظ أدب سميرة عزام من الاهتمام لم يكن كبيراً ليس على مستوى دراسته وحسب، وانما على مستوى جمعه ايضا. واذا كانت قد صدرت لسميرة عزام اربع مجموعات



سميرة عزام

قصصية في حياتها[١] ومجموعة واحدة بعد رحيلها[٢]، فان هذا لا يمثل كل انتاجها، فهناك ما كتبته للاذاعة خلال عملها في محطة الشرق الأدنى لفترة طويلة، وفي اذاعة بغداد لفترة قصيرة. وهناك بعض خواطرها التي لم تجمع، وما كتبته قبل النكبة في جريدة «فلسطين» بتوقيع «ابنة الساحل» وهناك مقالاتها النقدية الموزعة في الصحف. وهي كلها أمور تستحق البحث عنها ونشرها.

وحتى انتاجها القصصي، فان من الصعب القول انه قد نشر جميعاً، ولعل ما يمكن ان يشير الى ذلك وجود قصة من قصصها الهامة[٥]، قد تكون آخر قصة كتبتها، ومع ذلك لم تدخل في المجموعة التي نشرت بعد وفاتها. هذا بالاضافة الى ان المقطع الوحيد المنشور من روايتها «سيناء بلا حدود»[٦]، لم يلتفت اليه الذين درسوا ادبها، بالرغم مما يمكن ان تقدمه القصة والفصل من الرواية، من اشارات الى تطور فكرة سميرة عزام، وتطور

اسلوبها القصصي. بل لعل ما حدث للرواية التي يحتمل ان تكون قد انجزتها قبل وفاتها، قد يكون مؤشرا مفيدا الى الحالة النفسية التي كانت تنطلق منها في التعبير.

لقد عبرت سميرة عزام عن أمنيتها في أن يمهلها الموت حتى تنشر هذه الرواية، لأنها بذلت فيها جهداً حتى رضيت عنها -[٦] وهذا ما يشير الى انها انهت الرواية - ومع ذلك، فبعد نكسة حزيران ١٩٦٧، مزقتها بانفعال شديد قائلة : ان كل ما كتبته قد فقد معناه[٧].

يشير الجزء الصغير المنشور من الرواية الى ظاهرة الرفض الشعبي العربي للخنوع ومشاركة الشارع العربي لما يجري في وطنه من أحداث، في الوقت الذي يبدو فيه بطل الرواية مراقبا وحسب. ورغم ان «الظاهرة» التي يصفها هذا الجزء تجرفه معها، واذا كان من حق الانسان ان يتنبأ بما يحتمله فن الرواية، وما توحي به قصص الكاتبة عموما من موقفها تجاه الحياة، فانه يمكن القول ان الرواية كانت تتجه الى جعل الانسان العربي، العادي واللامبالي، يحس بما يدور حوله، ويشارك في صنع المستقبل.

ولعل في حياة سميرة عزام العملية ما يوحي بهذا الاتجاه. فقد كانت «عضواً قياديا عاملاً في تنظيم عربي فلسطيني مناضل»[٨] حاولت من خلاله ان تقدم لرفاقها صورة للواقع العربي، ونقداً له، واشارة الى الطريق طريق الكفاح المسلح.

واذا كان أدب الكاتب الجاد يعبر عن مواقفه.. فان الانسان يستطيع ان يتلمس الطريق الى ما ارادت الكاتبة ان تزرعه

في قلب المواطن العربي، من خلال رواياتها.

كان هناك الأمل، في فترة انتعش فيها الأمل العربي.. ثم جاءت النكسة كصفعة في جبين هذا الأمل.. ومعها انهارت اشياء كثيرة.. وانهار شيء كبير في قلب سميرة عزام، القلب الذي كانت تقول عنه في أواخر ايامها «انه اضعف من ان يحتملني، فانا لا أترفق به.. دائما أحمله أكثر من مستطاعه»[٩].

وكانت سميرة عزام صادقة في حدسها.. فقلبها لم يحتمل نكسة يونيو، وفي سعيها لمعرفة ما حدث، واستيعابه، توقف القلب.

كانت خيبة الأمل التي وراء تمزيق الرواية.. ولكن خيبة الأمل لم تكن طارئة في حياة سميرة عزام.. بل كانت تسير مع مجرى حياتها، منذ عرفت ان على ارضها عدوا يتربص، وان ظروف الذين يقطنون فوق هذه الأرض اقسى من أن تسمح لهم بالمواجهة.. حتى عاشت هي وشعبها تجربة التشرد، بكل مرارتها، عاشتها بالوعي الذي بدأ معها مبكرا - فقد دخلت تجربتها العملية في السادسة عشرة من عمرها - وهو الوعي الذي ظل ينمو، بالتجربة والثقافة.

وكانت تجربة سميرة عزام مركبة : فعلى المستوى الشخصي، طوّحت بها الآفاق في أماكن عدة.. من بيروت الى بغداد الى بيروت فقبرص فبغداد ثانية.. وبيروت أخيراً. وكان التعامل معها - كفلسطينية - دون منطق، كما حدث عندما طردت من بغداد - بعد انحراف ثورتها - خلال ساعات[١٠].

اما على المستوى العام، فقد كانت حساسية سميرة عزام تستوعب كل ما يجري. واذا كانت فترة نشاطها - خارج ارضها - قد إمتدت بين النكبة والنكسة، فقد كانت احداث هذه الفترة قادرة على ان تجهض الكثير من الآمال الكبيرة. لقد امتلأت هذه الأعوام بالأحداث القاسية، بدءاً من محاولات فرض الاحلاف، وانتهاء بالهزيمة القاسية، مروراً بالثورات التي انحرفت، وتجربة الوحدة التي اجهضت. فاذا اضفنا الى كل هذا، الوضع الذي وجد فيه الفلسطيني، بعد تشرده.. أدركنا عمق المعاناة التي عاشتها الكاتبة، وادركنا بالتالي الكثير من اسرار فنها القصصي، على مستوى مضمونه.

لقد كان الوضع الناجم عن التشرد هو المادة الخصبة التي استقت منها سميرة عزام مادة قصصها. فهذا الوضع، ادركت كم هو مذل للانسان الفلسطيني، الذي انقطعت صلته بمصدر رزقه في ارضه، فصار يعتمد في معاشه على وكالة غوث اللاجئين.. دون ان ينسى تجربة الاعتماد على الذات، في الحيز الذي تسمح به البلدان «المضيفة».. كما ان الانفصال بالهجرة، هز المجتمع الفلسطيني حتى جذوره، فتغيرت قيم، وولدت مآسٍ .. هذا بالاضافة الى تعرض المجتمع للمتغيرات العامة التي يفرضها الزمن، بعد ان فقد الكثير من الروابط التي تحميه.

لقد خشيت سميرة عزام على الفلسطيني، وسط هذه الظروف القاسية، ان يفقد هويته. وكانت «الهوية» هامة بالنسبة لها، حتى في المنفى، لأنها وحدها القادرة على ان تبقي قضيته حية. وحين عبرت عن هذا الموقف - قصصيا - كانت قصتها «الفلسطيني»[١١] مليئة بالسخرية المرة من كل من حاول الهروب من قسوة

ظروفه، بالبحث عن هوية جديدة. لقد صرخت في وجهه : هذا تزييف، والفلسطيني يبقى فلسطينيا مهما تنكر، وكأنها تقول ان شرف الفلسطيني يكمن في المحافظة على فلسطينيته، وتسبق بذلك ما حققته الثورة الفلسطينية، من حرص على بقاء الهوية الفلسطينية، او تقدم له عرض.



ابو ...

وقد ظل هم الهوية بارزاً في أدب سميرة عزام، حتى في القصص التي لا تتحدث عن الفلسطيني، واصبح هذا الهم تعبيراً عن هوية الانسان، عن ذاته، وسط ظروف تحاول ان تقهر هذه الذات.. واذا كان تعبيرها عن هذه الظروف قد تخلل معظم قصصها، فان قصتها التي لم تضمها اية مجموعة، استطاعت ان تقدم صورة لمثل هذه الظروف، والتي تحيل الدبس الى خل.

(٢) الجزء عن الكل :

تعتبر قصة (الحاج محمد باع حجته)

تلخيصا للتجربة الفلسطينية المرة، على مستوى الفرد، وعلى مستوى القضية، فهي تروي قصة «الانفصال» الذي حدث بين الانسان وتاريخه.. وما خلفه هذا الانفصال من مرارة وبؤس، كاد يجعله معرضا للخروج عن قيمه، لولا ان ارتباطه بالارض قد حفظ له هذه القيم.

والقصة تتحدث عن الحاج محمد، وجيه القرية، الذي عاش حياته كما يعيش الفلاح الفلسطيني الشريف، ينعم بما تقدمه له ارض يجهد فيها، ولا يبخل على الآخرين، ويشكر ربه على النعمة صلاة وصياما وحجا. وهو شخصية تبدو شديدة التكامل في الحياة العامة، وفي العمل.. وتبقى هكذا حتى تتغير الظروف، ويصبح من واجب الشباب في القرية ان يدافعوا عنها.. ويسقط ابنه الوحيد «فارس» شهيدا، ثم تتدخل الهدنة، لترسم شريطا يقسم القرية. والحاج غائب في الديار المقدسة ولانه يرفض الابتعاد عن قبر ولده، يعود، ليقابل الشريط بالصمت.. وليسمع بضياع موسم العنب.. ثم ليستجيب لرجاء اهل قريته، ليجني المحصول القادم مما تبقى من ارضه.. لكنه يفاجيء الناس بانه اخذ يجمع الزجاجات، مما يوحي بانه لن يصنع (الدبس) الذي اشتهر به، وانما سيقطر الخمر. وقد كثرت حوله الهمسات.. خاصة بعد ان اغلق باب بيته عليه، واهمل معمل الدبس.. وكاد الشك ان يصل حد اليقين، في اللحظة التي وصلت فيها زجاجات الحاج هدايا الى الناس، مليئة بالخل.

ان هذه القصة، تعتبر - فنياً - قمة ما وصل اليه ادب سميرة عزام القصصي.. فبالاضافة الى قوة السبك، استطاعت الكاتبة ان تتميز «بالتكنيك القصصي»

الذي يتعدى محاولة السرد والوصف ليتلاعب باهتمام القارئ، وعواطفه، عبر ذبذبات المشاعر التي تتراوح بين العطف والكراهية.. ان الاحداث هي التي تتكلم هنا، وتشرح وتصف، وهي أبطال القصة «الفيضان»[١٢] وقد تمكنت الكاتبة من رسم صورة الحاج رسما يسمح بقبول العطف، وقبول الكراهية، وقبول النتيجة التي ادت الى الكشف في نهاية القصة، لكل الصفات التي قدمت بها الحاج تقربه من النفس. لكن عظم المأساة التي تعرض لها، بفقدان الارض، وفقدان الولد الوحيد (بين ثلاث بنات) يمكن ان تكون مقنعة بأن تحولا يطرأ على الحاج، حتى ولو كان فيه بيع لمجده. لكن الفلسطيني ظل متماسكا، دون انفعال، فهو يدرك ان دبسه قد تحول الى خل، وسيظل خلا ـ للجميع ـ ما دام الشريط قائما، والعدو ينعم بالخيرات من ورائه.

وقد لجأت الكاتبة الى الرواية عن طريق السرد، والاسترجاع، في تداخل شديد الاحكام، يكاد لا يشعر القارئ، بالنقلة التي تتم عن طريق صورة تؤدي الى صورة، بشكل طبيعي لا انفعال فيه.

والقصة، اضافة الى ذلك، تحمل اهم السمات التي يتميز بها أدب الكاتبة القصصي، والتي يمكن تلمسها في قصصها الاخرى، وان كانت قد تجمعت هنا بشكل يثير الاعجاب.. فهي تطرح فكرة الارتباط بالمكان ارتباطا وجوديا، كما تطرح قضية الظروف الشديدة القسوة التي تعمل على تشويه الانسان ـ وخاصة فيه ـ وتطرح قضية الصراع بين القديم والجديد، بشكل اكثر وعيا من قصصها السابقة.. لأن الاتجاه هنا يسير في صالح الجديد. بينما يعامل الجديد بلون من الادانة في قصص اخرى، خاصة اذا كان هذا الجديد متمثلا في آلة تنافس الانسان، كما في قصة (الغريبة)[١٣] التي تنافس فيها «الغسالة» عاملة تعيش من الغسيل. كما تطرح ايضا قيمة العمل، وأثره في بناء شخصية الانسان، وارتباطه بالمكان الذي يعمل فيه. وهو امر لم يتضح الا قليلا في قصصها الاخرى. بحيث يجعل العمل بغير الانسان. كما في حالة المعوق في قصة (ساتعشى الليلة)[١٤] بينما تغيب هذه القيمة في قصص أخرى.. مثل قصة (حكايتها)[١٥].. كل هذا وسط جو من الاحباط الشديد الذي يحيط بالحاج. وهو الاحباط الذي يخلقه نقص الامكانيات في مواجهة القوى المعادية، والذي لا تكاد قصة واحدة من قصص الكاتبة تخلو منه.

وقد توصلت الكاتبة الى توصيل قصتها بالأسلوب الذي يتضح سخرية، من اوله الى آخره.. وهو الاسلوب الذي يتميز به فنها القصصي بجمله، والذي ينهي القصة عادة بصدمة.

ان قصة (الحاج محمد باع حجته) تلخيص ناجح لفن سميرة عزام القصصي بشكله ومضمونه، وحتى بموضوعاته الاساسية.. خاصة وانها تصور الواقع الجديد الذي يعيش فيه الفلسطيني بعيدا عن ارضه، وهو قريب منها.. وما يسببه له هذا الواقع من احباط يصل حدود اليأس.. وما قد يزرعه فيه من أمل يصل حدود الفعل في بعض الأوقات.

لقد كتب الشعر الفلسطيني تاريخ فلسطين قبل النكبة على لسان شعرائه الذين عاشوا الصراع (ابراهيم طوقان، ابو سلمى، مطلق عبدالخالق، عبدالرحيم محمود). وحين جاءت النكبة، تخلى الشعر عن موقعه في تصوير التاريخ، ليتحول ـ في غالبيته ـ الى بكاء غير مجد، وترك للقصة. ولسميرة عزام على وجه

الخصوص، ان تؤرخ، لا للأحداث، وانما لمحصلة هذه الأحداث، وما أوقعته هذه الاحداث من تغيير في سلوك الانسان، وموقفه تجاه كل ما يحيط به من الام..

(٣) شيء عن التشابه :

اية ابواب للمعاناة فتحتها سميرة عزام بقصصها.. وأية ابواب في هذه القصص، استطاع الامل ان يطل منها؟

ان المواضيع التي تطرقها سميرة عزام محدودة بشكل واضح، تشير الى انها تلتقط قصصها من ملاحظة ما يدور حولها. ولذلك فقد تتسرب الفكرة الواحدة في اكثر من قصة، تتم معالجتها من خلال احداث مختلفة.. فليس هناك مثلا اي فارق في تصوير الجو النفسي لرجل قلق على صحة زوجته في لحظة انجابها بين قصتي (المخروس)[١٦] و(الصغير)[١٧] المتجاورتين في (العيد من النافذة الغربية) سوى في اختيار اسم المولود الذي يأتي في الخارج (في الأولى) ليكون على اسم الوالد (كما هو التقليد الذي ترعاه ام الزوج). والذي يأتي من راعي الكنيسة في الثانية. عرفانا بجميله في رعاية الزوجة.. اما بقية ما في القصتين فمتشابه، الى درجة تطابق الجمل. والصور لو ان الكاتبة نشرت هذه المجموعة في حياتها، لاكتفت بقصة واحدة منهما.

لكن التشابه لا يصل الى هذا الحد في القصص الأخرى.. ان بعض احداث القصص قد يختلف، ولكن ما تقوله يتشابه. ففي قصة (الذكرى الأولى)[١٨] مثلا.. نجد الزوج ينسى ذكرى زواجه الأولى.. ويحاول أن يعوض ذلك برشوة زوجته.. اما في قصة (الثمن)[١٩]، فان الموقف قد يصنع لنسيان الزوج انه دعا زوجته الى سهرة.. وتتحول الرشوة من المال الى ثمن القراء.. فلا تختلف القصتان كثيرا، بل تشيران بوضوح الى تجربة واحدة.. لامرأة تحس بانها تعامل كأنها جثة.. يدفع لها الثمن

وقد لا تقترب الأحداث من بعضها بالمرة في قصص متشابهة الفكرة.. ولكن التجربة الواحدة التي التقطت منها هذه القصص، لا تغيب عن الملاحظة. ففي قصة (اقنعوا ولكن)[٢٠] يسرق الحارس بعض أغراض البيت الذي يحرسه، حتى لا يستغني اصحابه عنه.. ولا يقتنع اصحاب البيت بحاجتهم الى حارس بالفعل، ولكنهم يقتنعون، في الوقت نفسه بأن يستبدلوه بحارس شاب.. اما الطباخة العجوز في قصة (الملح)[٢١] فقد لجأت الى رش الملح في الطعام الذي أعدته الطباخة الجديدة الشابة، حتى تقنع اصحاب البيت بأنهم في حاجة الى خدماتها.. كما حقد قارع الجرس العجوز، الذي استغنت عنه الكنيسة، على القارع الذي تم استبداله به في قصة (مجنون الجرس)[٢٢].. وعلى كل الذين تخلوا عن مساعدته للعودة الى عمله، وعبر عن هذا الحقد بأن أخذ يقرع الجرس في غير أوانه. وكل هذه أحداث تقود الى موقف متشابه، هو الضيق الذي يحس به من تمت احالته الى التقاعد تجاه من يحل مكانه.

والامر نفسه يتكرر ـ لكن بفكرة اخرى ـ بين قصة (دموع للبيع)[٢٣] حين يتجمد دمع الندابة المحترفة، فلا تستطيع ان تبكي طفلتها التي ماتت، وقصة (حتى العيون الزجاج.. تندى)[٢٤] حين يتوقف شاعر المراثي ـ المتكسب ـ عن القاء مرثيته المستهلكة عندما تلتقط عينه في جنازة ما، عينا تعرفه.

ولعل مرد هذا التشابه هو ان «حياة الآخرين» كانت النبع الذي تستقي منه سميرة عزام احداث قصصها لتطرح من

خلالها وجهة نظرها في الحياة.. ولأن التشابه واقع ـ لا محالة ـ في حياة الآخرين، داخل المجتمع الواحد فقد كان طبيعيا ان ينعكس هذا التشابه في قصص الكاتبة. كما ان وجود القناعة المسبقة بأفكار محددة تجاه الحياة، كان يفرض نوعا من «القصدية» في اختيار مادة القصص. ولأن افكار الكاتب ـ عادة ـ تكون مترابطة، لدرجة انها قد تصبح نوعا من التنويع لفكرة اساسية واحدة، فان هذا العامل يساهم في وجود مثل هذا التشابه، الذي لا تكاد تهرب منه الا قلة قليلة من الكتاب.

والقصدية، او ما يمكن ان يسمى «ضغط المغزى» واضح في عدد كبير من قصص سميرة عزام، خاصة في مراحلها الأولى.. وقد اثر على فنية هذه القصص في بعض الأوقات، لأنه طوع الاحداث للمغزى تطويعا اثر على النمو الداخلي للاحداث، داخل البناء القصصي.. ففي قصة (في الطريق الى برك سليمان)[٢٥] مثلا «يضغط المغزى على الكاتبة، فيحملها على المبالغة التي تكاد تفسد بناء القصة، فرغم ان واقع النضال في القرى الفلسطينية (كان) أشد ظلاما مما ذهبت اليه الكاتبة في هذه القصة، فان ضغط المغزى جعل الكاتبة تقفز عن المحطات الطبيعية في مأساة هذا النضال، وبذلك تحولت القصة الى مقالة، وحماسة، وما يقرب من الموعظة»[٢٦].. ويظهر هذا الضغط في قصة (الفيضان)[٢٧].. الذي يبدو مفتعلا ليوقظ المومس على ما يجري في مسقط رأسها، فيؤثر على سير الأحداث في القصة، كما يتحول الى لون من المبالغات في قصة (اريد ماء)[٢٨] فيحولها الى أوهام لا تكفي لتبرير محاولة الانتحار لدى فتاة تخاف من العقاب، لأنها تناولت القربان وهي حائض.. فربطت بين هذه الخطيئة ومرض أخيها.


ابراهيم طوقان

ومثل هذه القصدية قد تظهر بصور اخرى في بعض قصص الكاتبة : فهي تبدو على شكل تخطيط عقلي مسرف، يصل حدود الهندسة في الاحداث التي تجري في زمن واحد، ومكانين مختلفين في قصة (زغاريد)[٢٩] التي يجري فيها عرس الابن في بيروت، وتحتفل به الأم احتفالا حزينا في يافا.. بشكل يكاد يخلو من العاطفة. ويبدو هذا الجانب العقلي واضحا في قصة (عندما تمرض الزوجات)[٣٠] التي كتبتها الكاتبة على شكل حوار، تبحث من خلاله الزوجة البرجوازية عن شهادة مرض.. حتى تهرب من مواجهة غريمتها. وقد كاد الحوار ان يكون مجرد حوار عقلي خال من الحرارة، وخال من الأحداث ايضا.

وبسبب هذه القصدية، قد تحمل الكاتبة افكارها لشخصيات في قصصها لا تملك من الوعي ما يؤهلها لذلك.. ففي قصة (مؤهلات)[٣١] مثلا، التي تتحدث عن صبي آثر الا يعالج عيبا في يده، لأنه يساعده على التسول، كانت عبارات

الصبي «تنبئ عن وعي دقيق لموقفه من الحياة»[٣٢] هو وعي اكبر منه. كما انها قد تميل الكاتبة الى اطلاق الاحكام العامة التجريدية.. ففي قصة (الظل الكبير)[٣٣] مثلا الكثير من هذه الاحكام التي تؤمن بها فتاة مثقفة، خاصة فيما يتعلق برجل تقبل ان تكون له. «والمونولوج في القصة مونولوج ذهني بحت.. وما أجدر (بالكاتبة) ان تتمهل في تقديم حقائقها، وان تحرص على ابراز افكارها بالأحداث والعلاقات والصور، وان تتجنب المواقف الكبيرة بعبارات عامة»[٣٤].

لكن اخطر ما تسير اليه هذه القصدية، هو الوقوع في العبث. وهو امر لم تقع به سميرة عزام كثيرا، لأنها تنطلق من وعي بأهمية الأدب في المجتمع. ولكن بعض قصصها سارت اليه. ربما لأن غموضا قد شابها، فلم يتبين المغزى بوضوح، وربما لأن ضغط الواقع المر كان اقسى من ان يتجنب شيئا اكثر من تصوير عبثية الحياة. ولعل أوضح قصص سميرة عزام عبثية هي قصة (بائع الصحف)[٣٥] التي تتابع صبيا وهو يبدأ حياته العملية في بيع الصحف، حتى يصل الى أسلوب في البيع يجيئه الى التالي.. ولكنه يقع مرة تحت عجلات حافلة الترام، ويلتصق دمه بجرائده.. ثم تغلق الدائرة العبثية بصبي جديد، يعلن عن صحفه من خلال الحادث الذي وقع لزميله. وهذه الدائرة المغلقة على مأساة مرة، تذكر بقصص كامو خاصة.. وتخرج بسميرة عن طبيعتها الملتزمة بأن تقول شيئا من خلال القصة.. فهذا الصبي المليء بالحيوية، القادر على التكيف والنجاح، رغم ظروفه القاسية، سرعان ما تنتهي حركته الى سكون، ويتناثر رشاش دمه على صحفه التي «أبدع» في بيعها، ليصبح خبرا في صحيفة»[٣٦].. دون اي مبرر منطقي لهذه المأساوية، ولاختيار هذا الجانب الأسود من الحياة.. الا ذلك الميل الى «الصور الرومانسية» التي تحاول التعبير عن الحضارة الصناعية المقلوبة»[٣٧].

وقد يبلغ هذا العبث حدا يكاد معه ان يغلق منافذ الحياة»[٣٨]، في قصص قليلة.. في قصة (هواجس)[٣٩] مثلا، التي تتحدث عن فتاة في مبنى، يحيق بها الموت من كل جانب، تغلق نافذة الخلود التي تطل منها والدة الفتاة بين حين وآخر.. لتتركها وحيدة ومرعوبة، وسط عالم كريه.

ويبدو ان هذا الاحساس الرومانسي بقسوة الواقع هو الذي قاد سميرة عزام الى هذا الاتجاه، الذي لا يشكل ظاهرة غالبة في قصصها، وان كانت محصلته بعض الصور التي لم تبلغ مبلغ القصة.. او التي وصفت بانها مجرد «مكثفة» كما ذكر د. سهيل ادريس[٤٠] عن قصتي (الشيخ مبروك)[٤١] و(زواج العمة)[٤٢] وذكر د. هاشم ياغي[٤٣] عن قصتي (حبات المسبحة)[٤٤] و(كوافير)[٤٥].

لكن مثل هذا الخروج عن واقعية الصورة التي ترسمها سميرة عزام، وعن التزام هذه الصورة بالجو النفسي للقصة، لم يكن الا ظاهرة طارئة في بعض القصص، ولدت من خلال المبالغة في الجو المأساوي لشخوصها، نتيجة لانفعال الكاتبة بهذا الجو. وقد التزمت سميرة عزام في بقية القصص بالكثير من الواقعية التي تصور بذكاء، وقد توحي في بعض الأحيان.

فأي واقع هذا الذي صورته سميرة عزام في قصصها المتميزة ؟

(٤) واقع ليس لنا :

تضع سميرة عزام في قصصها الانسان

العادي داخل الظروف غير العادية، ثم تتابع التحولات النفسية التي تحدث له في مواجهة هذه الظروف، مهتمة بالتفاصيل الصغيرة، التي تتشكل منها الصورة المتكاملة.

وتتميز قصص سميرة عزام باختيار شخصياتها وهي تهتم بمتابعة موقفهم النفسي لان «اخص صورة هذا اللون من القصص انها تختار له شخصيات عادية طبيعية - سليمة على وجه عام - لا تعاني توترا او قلقا متأصلا، وانما يعبر الواحد عن اشخاصها بموقف معين قد يهز من تماسكها بعض اهتزاز، ويوقعه في الحيرة او الندم او الشك او الحرج»[6]

ان شخصيات سميرة عزام اذن غير مريضة. ولكن الظروف هي المريضة وقصص سميرة عزام تركز على كشف هذه الظروف، وما تفعله بالانسان السوي حين تضغط عليه. وليس غريبا ان يكون ابطال هذه القصص - في معظمها - هم ادانة لهذه الظروف، ان هذا الواقع الذي يضع الانسان السوي في المأزق او الأزمة، لان طبيعة الحياة التي عاشتها الكاتبة، او خبرتها من خلال تجربة التشرد التي تعرض لها شعبها، تجعل من ادانة الظروف قضية عادلة. فالفلسطيني، في وطنه، انسان عادي، كان بامكانه ان يعيش حياة عادية منتجة، لولا الظروف التي فرضت عليه، وكانت اقوى من كل قدراته. وقد بذل جهدا كبيرا في مواجهتها وفشل: فالحاج محمد مثلا، حول ديوانه «الى رئاسة اركان يلتقي بها الحرس الوطني كل ليلة، يتوزعون فيها السلاح والمهمات، وهو قد ضحى بالمال الذي دفعه للمصرف كتأمين لضمان مصنع المكابس، واشترى لفارس - ابنه - واخوان فارس، رشاشات وذخيرة، ومتاريس تنتصب في وجه المستعمرات التي تبث المدافع كالقطر على حدودها»[7] لكن المدافع كانت اقوى. والهدنة جاءت لتجهض ما تجمع من قوة.. ولتجبر الناس على الرحيل.

مثل هذه الظروف لا تخلق في النفس الا احساسا بالحقد. كذلك الاحساس الذي ملأ قلب احسن) بعد معركة غير متكافئة مع العدو، نفد فيها عتاد رشاشه الذي يبدو كلعبة اطفال امام قذائف العدو، فاضطر للرحيل، وفقد ابنه في الطريق، ودفنه، ولم يقرأ صلاة ما، فقد اخرسه الحقد»[8]

ومثل هذه الظروف لم تلاحظها سميرة عزام في المعركة غير المتكافئة التي خاضها الفلسطيني مع عدوه وحسب، ولكنها لاحظتها في الحياة ايضا، وهي تختار تجاربها من مواطن متعددة[9] عاشت فيها واستلهمتها بصدق واخلاص، واكتشفت ان الظروف التي يواجهها الانسان العادي فيها، ليست أقل قسوة عليه من تلك الظروف التي واجهها الفلسطيني في حربه غير المتكافئة. لأن الحياة واحدة، ومعركة الحياة لا تتجزأ.

ان قصة «الأعداء»[10] مثلا، تستطيع ان تقدم لنا نموذجا لما يمكن ان يكون عليه الموقف النفسي نتيجة الظروف الضاغطة على الانسان العادي. وما يمكن ان يعود اليه هذا الانسان، بعد زوال هذه الظروف.

تتلخص القصة، التي تحمل صورة من ادق الصور القصصية وأجملها[11] في وضع انسان عادي، عاطل عن العمل، امام فرصة للحصول على العمل الذي يعيل ابناءه من خلاله. وحين يتجه الى المكان، المقابلة، يجد من ينتظر الفرصة مثله. وتتابع الكاتبة خلجات الثلاثة، وأدق حركاتهم، لتصور من خلال ذلك

ولادة عداء بينهم في هذا الموقف. ولكنهم حين يخرجون من لقاء المدير، بخيبة أمل متشابهة، يعودون الى طبيعتهم العادية. وتعود بينهم الألفة التي عبرت عنها الكاتبة بتوازن خطواتهم، وبتقديم واحد منهم سجائره للآخرين، بعد ان ضن بها عليهم في الموقف. فالموقف اذن هو الذي خلق روح العداء بين ثلاثة لا يعرفون بعضهم بعضا - ولا نعرف منهم الا واحدا اهتمت به الكاتبة - وهذا الموقف جاء وليد مجموعة من الظروف، تقف الحاجة الى العمل - ومقابلة المادي بالطبع - على رأسها. لكن زوال الموقف، دون زوال الظروف، مع احساس بالتناقض بين كل واحد منهم، والمدير، لم يعد الألفة بين الثلاثة وحسب، وانما قربهم اكثر، بسبب الاحساس بالهم المشترك، والاحساس الآخر، بأنهم في موقع واحد، في مقابل الموقع الذي يتربع فيه المدير.

والكاتبة لا تفسر كل هذا.. انما تقدم الصورة، من خلال التفاصيل الصغيرة، الموحية، وتترك للقارىء مهمة تجميعها. وهي بذلك تشرك القارىء في عملها، وتشركه ايضا في هموم الآخرين.

ان قصص سميرة عزام معنية بتقديم صورة الواقع، من خلال مجموعة من التجارب الانسانية، التي يمر بها الانسان العادي في حياته اليومية، وفي كفاحه، مشردا كان او صاحب بيت، او امرأة او طفلا.. فقد استطاعت هذه القصص ان تغطي مساحة واسعة من الانماط العادية للناس، هي في معظمها انماط كادحة، وهي في معظمها مهزومة امام الظروف التي وضعت الكاتبة الانسان في مواجهتها، لتضعه في المأزق الذي يدينها. فهي متنوعة تنوع الحياة الانسانية، تبدأ من ظروف المنافي الجديدة التي رحل اليها الفلسطيني. وتتوقف عند الظروف الجديدة التي يخلقها التطور، سواء أكانت ظروفا فكرية او ظروفا مادية وصناعية دون ان تنسى ظروف الفقدان بالموت او بالسفر، او بمجرد توقعها.

وقد اكتفت الكاتبة في معظم قصصها، بتقديم صورة موضوعية للواقع الكائن، دون ان تتجاوزه الى ما يفترض - او تتمنى - ان يكون، ولذلك فان هذه القصص، تظل عند حدود الواقعية، التي تغلفها مسحة رومانسية، دون ان تدخل في الواقعية الاشتراكية الا ضمن حدود ضيقة، كان الأول في تغيير هذا الواقع خلالها هو الفكرة التي توصل اليها القصة.

ولان الواقع، كما خبرته الكاتبة، مريع ومأساوي، فقد حملت معظم قصصها كما كبيرا من التشاؤم والسوداوية، فهي «تصف الواقع وصفا عاريا، لا تحاول ان تلطفه بأي شيء»[32] حتى يصل بها الحد الى ان ترسمه، او ان تعرف منه، الى درجة تضييق الحيلة على بطل القصة[33]. فلا يجد له منفذا من الخطأ او السقوط، مع محاولة منه لتبرير ذلك تبريرا مقنعا.

وقصة «حكايتها» تصلح نموذجا لهذا اللون من سد المنافذ. وهي تتحدث عن فتاة مات والدها فاضطرت للعمل، وهي في الرابعة عشرة، لتعيل أمها في الخامسة، وقد تعرضت لمراقبة شاب سبق ان حاول تقبيلها عنوة، ثم عرض عليها خدماته، وفي محل الحياكة، حيث نجحت، تعرضت لمعاكسات صاحبه، واضطرت للهروب، والعمل في منزل تعرضت فيه للضرب، فعادت الى المعمل «! حيث اعتدى عليها المعلم. فسارت في طريق السقوط الذي انتهى بها في محل عام، ووصلت اخبارها الى اخيها - الذي كبر وصار يترصدها ليقتلها. فارسلت حكايتها في رسالة، خوفا

عليه، وتبريراً لسقوطها، وهو تبرير لا يقبله منطق، ولا تعميم لأن سعة حيلة الانسان لا تجيز ان تضيق، حتى يؤول الى السقوط «ومن ثم تخطب في الجماهير خطبة تحملهم كل مسؤولية سقوطها»[34]

ولعل اهم ما يمكن ان يشار اليه هنا هو ضعف المبرر، وقد كانت بطلة القصة تملك خيارات اقل ضررا من عودتها غير المنطقية الى العمل، وهي تعلم ان ما ستجده فيه اكثر من الضرب.. ولكن يبدو ان محاولة الكاتبة ان تصور واقع مثل هذه الفتاة - كنموذج لواقع الانسان العادي الضعيف - بأقسى ما تستطيع ان تفعل، قد جعلت القصة تقفز عن منطقية احداثها، وتتجاوز واقعها المعقول.

واذا كانت هذه المبالغة في تجريح الواقع، وادانته، وتحميله ما يفوق طاقته من المسؤوليات، قد برزت في بعض قصص الكاتبة، مثل قصة «نافخ الدواليب»[35] التي سدت في وجهه كل الطرق الشريفة التي تسمح له بالحصول على لقمة العيش، فاضطرته الى الغش، الا ان هذا الواقع قد صور بأسلوب يحمل «طابعا واقعيا أصيلا»[36] في كثير من القصص التي اهتمت الكاتبة بها لتبدأ اكثر من اهتمامها بالظل. وقد كان هذا الاتجاه واضحا في معظم القصص التي تحدثت عن هموم المرأة، باعتبارها هموما تستطيع الكاتبة ان تتمثلها بسرعة، وان تصوغ التعبير عنها بشكل فني ناجح. فقصة (نصيب)[37] مثلا «تصور تصويرا واقعيا حياة كثير من الفتيات في مجتمعنا»[38] حين تتحدث عن فتاة تحاول ان تقول «لا» للعريس الذي جاءها بطريق تقليدي، يتنافى مع قناعاتها.. ومع ذلك، حكمت عليها الظروف بالا تفرط، وبأن ترضى بعصفور في اليد.. بدلا من الأحلام التي قد لا تتحقق.

(عن مجلة الحرية - مجلة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين)

هوامش:

(١) اشياء صغيرة - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٥٤، الظل الكبير - دار الشرق الجديد - بيروت ١٩٥٦، وقصص اخرى - دار الطليعة - بيروت - ١٩٦٠، الساعة والانسان، المؤسسة الاهلية - بيروت ١٩٦٣.
(٢) العيد من النافذة الغربية - دار العودة - بيروت ١٩٧١.
(٣) د. نادرة جميل السراج - شؤون فلسطينية - اكتوبر ١٩٧٣ ص ٩٩.
(٤) الحاج محمد باع حجته - «الآداب - يونيو ١٩٦٦» ص ١٨ - ٢٠.
(٥) الآداب - مارس ١٩٦٤ ص ٢٩ - ٣٠.
(٦) القة الاولى - الآداب يناير ١٩٦٨ - ص ٤٧.
(٧) د. نادرة جميل السراج - مصدر سابق ص ٧١
(٨) شقيق الحوت - الآداب يناير ١٩٦٨ ص ٣٥.
(٩) القة الاولى - مصدر سابق ص ٤٧.
(١٠) جمال احمد - الآداب - يناير ١٩٦٨ ص ٤٥ (كان سفير السودان في بغداد، وروى شهادة عن المسألة).
(١١) الساعة والانسان - ط ٢ - دار العودة بيروت ١٩٨٢ ص ٨٥.
(١٢) عايدة ادريس - الآداب يوليو ١٩٦٦ ص ٧٧.
(١٣) الظل الكبير - ط ٢ - دار العودة - بيروت ١٩٨٢ ص ٢١.
(١٤) الظل الكبير - مصدر سابق ص ٣١.
(١٥) اشياء صغيرة - ط ٢ - دار العودة - بيروت ١٩٨٢ ص ١٩.

(١٦) العيد من النافذة الغربية - ط ٢ - دار العودة - بيروت ١٩٨٢ ص ٧٥.
(١٧) المصدر السابق ص ٨١
(١٨) المصدر السابق ص ٧
(١٩) وقصص اخرى - ط ٢ - دار العودة - بيروت ١٩٨٢ ص ١٥١.
(٢٠) العيد من النافذة الغربية - مصدر سابق ص ٣٩.
(٢١) العيد من النافذة الغربية - مصدر سابق ص ٨٧.
(٢٢) الساعة والانسان - مصدر سابق ص ١٠٧.
(٢٣) الظل الكبير - مصدر سابق ص ٣٩.
(٢٤) العيد من النافذة الغربية - مصدر سابق ص (٢٣).
(٢٥) وقصص اخرى - مصدر سابق ص ٢٥.
(٢٦) د. هاشم ياغي - القصة القصيرة في فلسطين والاردن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط ٢ - ص ١٩٢.
(٢٧) وقصص أخرى - مصدر سابق ص ٥٧.
(٢٨) وقصص اخرى - مصدر سابق ص ١٢٩.
(٢٩) د. هاشم ياغي - مصدر سابق ص ١٩٣.
(٣٠) وقصص اخرى - مصدر سابق ص ١٦١.
(٣١) وقصص اخرى - مصدر سابق ص ١٠٧.
(٣٢) عبداللطيف شرارة - الآداب - سبتمبر ١٩٥٦ - ص ٦٢.
(٣٣) الظل الكبير - مصدر سابق ص ٩.
(٣٤) محمود امين العالم - الآداب - فبراير ١٩٥٥ - ص ٦٩.
(٣٥) اشياء صغيرة - مصدر سابق ص ١٩٣.
(٣٦) د. نادرة جميل السراج - مصدر سابق ص ٧٣.
(٣٧) د. هاشم ياغي - مصدر سابق ص ١٦٢.
(٣٨) المصدر السابق - ص ١٩١.
(٣٩) وقصص اخرى - مصدر سابق ص ٧.
(٤٠) د. سهيل ادريس - الآداب - مايو ١٩٥٤ - ص ٣٤.
(٤١) اشياء صغيرة - مصدر سابق ص ٤٣.
(٤٢) المصدر السابق - ص ٧٥.
(٤٣) د. هاشم ياغي - مصدر سابق ص ٢٤٠.
(٤٤) الساعة والانسان - مصدر سابق ص ١٣٠.
(٤٥) المصدر السابق - ص ١٣٦.
(٤٦) د. احسان عباس - الآداب - سبتمبر ١٩٦٠ - ص ٣٦.
(٤٧) الحاج محمد باع حجته - الآداب - يوليو ١٩٦ ص ١٩.
(٤٨) وقصص اخرى - مصدر سابق قصة (في الطريق الى بركة سليمان) ص ٣٢.
(٤٩) د. احسان عباس - مصدر سابق ص ٣٧.
(٥٠) وقصص اخرى - مصدر سابق ص ٤٧.
(٥١) د. هاشم ياغي - مصدر سابق ص ١٩٣.
(٥٢) نازك الملائكة - ديسمبر ١٩٥٩ - ص ٤.
(٥٣) د. هاشم ياغي - مصدر سابق ص ١٦٢.
(٥٤) د. هاشم ياغي - مصدر سابق ١٦٤.
(٥٥) اشياء صغيرة - مصدر سابق ص ٩٣.
(٥٦) د. علي سعد - الآداب - نوفمبر ١٩٥٤ - ص ٦١.
(٥٧) الظل الكبير - مصدر سابق ص ٧٩.
(٥٨) د. عبدالله عبدالدايم - الآداب اكتوبر ١٩٥٤ - ص ٥٦.

كليلة ودمنة تراث عربي أصيل

● بقلم الدكتور حسين مروة ●



« كتاب «كليلة ودمنة» مرتبط بالثقافة العربية ارتباطاً وثيقاً لأنه يرجع بأسباب وجوده في هذا التراث الى واقع الحياة العربية . وهل يحتاج الأثر الادبي الى أكثر من هذا حتى يكون جزء من التراث القومي لأمة من الامم ؟ ».

□ لم يقم الدليل العلمي القاطع على صحة الرأي الذي قال به المؤرخ العربي الكبير ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هجرية) من ان عبد الله ابن المقفع قد وضع كتاب «كليلة ودمنة» من ابداعه وخلقه، ولم يترجمه عن الفارسية، كما هو المشهور، بل لقد قامت أدلة على عكس هذا الرأي، أي على كون الكتاب مترجماً للعربية لا موضوعاً فيها رأساً.

ومن هذه الادلة ان أبا الريحان البيروني، وهو من اكابر رجال الفكر العربي، بل من أكابر علماء القرن الحادي عشر الميلادي في العالم (توفي ٤٣٠ هـ - ١٠٤٨ م)، يرى ان أصل «كليلة ودمنة» من الهند، وان ابن المقفع زاد فيه باب برزويه. ومعلوم ان البيروني مسموع الرأي في هذا الموضوع خاصة، لانه اقام في

الهند نحو اربعين عاماً جهد خلالها في البحث والاطلاع، حتى شملت معارفه المتنوعة ثقافة الهند: علومها وفنونها وآدابها.

ولقد ظل الباحثون في شك من اصل الكتاب، حتى عثر الاستاذ هرتل على بعض اصوله الهندية الاولى مكتوبة باللغة السنسكريتية القديمة. ثم عثر آخرون على أبواب متفرقة من الكتاب، ذكروا منها : «الاسد والثور» وباب «الحمامة المطوقة» وباب «البوم والغربان» وباب «القرد والغيلم» وباب «الناسك وابن عرس». وقد وجدت هذه الابواب في كتاب واحد. وعثر آخرون على أبواب غير هذه من «كليلة ودمنة» في كتاب آخر [١]. ولكن لم يجد الباحثون كتاباً واحداً باسم «كليلة ودمنة» المعروف بالعربية. والمرجح ان هذا الاسم من وضع ابن المقفع نفسه، أخذه من اسمي ابني آوى اللذين تدور عليهما حكايات الباب الاول في الكتاب، وهو باب «الاسد والثور».

من هذين الدليلين يمكن القول ان أصل الكتاب من الادب الهندي. والمعروف أن عبد الله ابن المقفع نقله الى العربية عن ترجمة باللغة الفهلوية، التي هي اللغة الفارسية القديمة. غير ان الباحثين لم يعثروا على اصول هذه الترجمة. وقد عُرف الكتاب عند الغربيين وعلماء الاستشراق بخاصة من الترجمة العربية لابن المقفع، ونقل الى اللغات العالمية من هذا الطريق نفسه. هذا، ويمثل الرأي الشائع في أمر «كليلة ودمنة». ويبدو من هذا لأول وهلة، ان الأقرب للصواب في الكلام عن هذا الاثر الادبي الكبير الشائق، انه ليس يحسب من التراث العربي، بل هو من الادب الدخيل فيه.

ولكن وضع الامر على هذا الوجه يحتاج الى شيء من المراجعة والتعديل فإن لدخول «كليلة ودمنة» في ادبنا العربي وجهاً آخر، ينبغي أن يتناول البحث بمقدار من الامعان والتدقيق، لكي يظهر أن صلة هذا الاثر العظيم بتراث الادب القومي العربي، ليست كصلة الادب الدخيل بالادب الاصيل، بل هي أقوى من ذلك وأعمق، حتى ليصح القول انها على شيء من الاصالة بالنسبة لتراثنا العربي.

يؤيد هذا الرأي، عندي، أمور كثيرة، منها:

● أولاً - ان في الكتاب المتداول بالعربية، فصولاً بكاملها لم يثبت نقلها عن الفارسية ولا الهندية، بل يرجح أهل البحث أنها من وضع ابن المقفع نفسه، وهي : باب «عرض الكتاب» وباب «الفحص عن أمر دمنة» وباب «الناسك والضيف» وباب «البطة وملك الجرذ».

وكذلك مقدمة الكتاب، وهي الباب الاول منه، فقد وضعت بالعربية رأساً. والثابت ان واضعها علي بن الشاه الفارسي. وينقل لنا أحمد امين في «ضحى الاسلام» (ج ١ ص ٢٢٧) عن المستشرق «دي ساسي» وبولدكه ان علي بن الشاه هذا هو «ابو القاسم علي بن محمد بن الشاه الطاهري». ويقول ابن النديم في «الفهرست» (ص ١٥٣) ان ابا القاسم هو نسل ابن الشاه ميكال، وكان اديبا ظريفا مقالها في نهاية الظرف والنظافة، وقد توفي ٣٠٤ هجرية. ومعنى ذلك ان باب المقدمة في كليلة ودمنة قد وضع بعد ابن المقفع بنحو مئتي سنة.

والظاهر من اسلوب المقدمة هذه ومن مضامينها ان ما جاء فيها من حكاية الملك دبشليم والفيلسوف بيدبا وحكاية اسباب وضع الكتاب بالهندية، انما هو تخريج تصوره ابو القاسم علي بن الشاه في خياله، وجرى في وضعه على طريقة في التفكير والتعبير الاسلامية في العصر الثالث الهجري.

ونذكر على سبيل التمثيل موقف الحكيم بيدبا، وقد دخل على الملك دبشليم ليرشده الى العدل بالرعية، فقال له:

«اني وجدت الامور التي اختص بها الانسان من بين سائر الحيوان، اربعة اشياء، وهي جماع ما في العالم: وهي الحكمة، والعفة، والعقل، والعدل، والعلم والادب والروية داخلة في باب الحكمة، والحلم والصبر والوقار داخلة في باب العقل، والحياء والكرم والصيانة والأنفة داخلة في باب العفة، والصدق والاحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة في باب العدل. وهذه هي المحاسن، واضدادها هي المساوىء. فمتى كملت هذه في واحد لم تخرجه النقص في نعمته الى سوء الحظ من دنياه، ولا الى نقص من عقباه، ولم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه، ولم يحزنه ما تجري به المقادير في ملكه، ولم يدهش عند مكروه. فالحكمة كنز لا يفنى على الانفاق، وذخيرة لا يضرب لها بالاملاق، وحلة لا تخلق جدتها، ولذة لا تصرم مدتها».

هذا اللون من التفكير هو - كما لا يخفى - من تفكير العرب في عصرهم ذلك. فالموقف كما يصوره واضع المقدمة، اذن، موقف منتزع من الحياة العربية لا من حياة الهند في العصر الذي ترجع اليه اصول «كليلة ودمنة» الاولى المرجح كونها من كتب الهند.

يضاف الى ذلك ان المقدمة ترجع بتاريخ وضع الكتاب بأصله الهندي الى زمن الاسكندر ذي القرنين وعهد استيلائه على الهند، وليس في المباحث التي كتبت حتى الآن عن هذا الكتاب ما يؤيد صحة نسبته الى ذلك الزمن بالذات.

فالمقدمة على هذا - وهي جزء من «كليلة ودمنة» تبلغ خمساً وعشرين صفحة من طبعة بيروت - مكتبة صادر - انما تحسب من الادب العربي الاسلامي، لا من حيث هي كونها وضعت بالعربية وحسب.

وفي الكتاب باب آخر يستقيم في رأيي انه وضع عربي اسلامي خالص، وهو باب «بعثة برزويه الى الهند» لتحصيل الكتاب، وان لم يشر الى ذلك احد من الباحثين الذين اطلعت على آرائهم في هذا الموضوع. ويبلغ هذا الباب عشرين صفحة من الطبعة المتقدم ذكرها.

فقد بدىء الباب هكذا : «الحمد لله الذي بيده مفاتيح غيبه، واليه منتهى كل علم وغاية، الدال على الخير، المسبب كل فضيلة، الملهم عباده كل ما يقربهم اليه من نوافل الخيرات ونواحي البركات، لما أمر الله تعالى عباده من العلم والحكمة، اذ أمرهم بالشكر له ليستوجبوا بذلك المزيد منه، ويسارعوا الى ما رغب عنهم تبارك وتعالى».

«وقد جعل الله لكل مسبب علة، ولكل علة مجرى يجريها الله تعالى به على يد عبد من عبيده، ويقدرها له على أيام دولته وايام عمره، وذلك ان ما كان من علم انتساخ هذا الكتاب ونقله من أرض الهند الى مملكة فارس، الهام ألهمه الله تعالى كسرى انو شروان للبحث في نقله ونسخه... الخ».

وما نظن أحداً له اطلاع على طبيعة التفكير العربي الاسلامي بعد عصر الفلسفة، ينظر في مثل هذا الكلام ولا يقول انه تفكير العرب وصياغتهم، لا من تفكير الفرس وصياغتهم في عصر كسرى انو شروان. هذا فضلاً عن العرض التاريخي لحكاية بعثة برزويه، الذي يتجلى فيه أسلوب القص العربي لأخبار الناس، كما يبدو في قصص العرب وأخبارهم.

فاذا أضفنا الى البابين المتقدمين، تلك الابواب التي أشرنا الى ترجيح الباحثين أنها من وضع عبد الله بن المقفع نفسه، وباب «ملك الجرذان» الذي لم يجدوا اصله في

الهندية ويرجحون انه من زيادات الفرس. وفي رأيي انه لا يختلف عن باب «بعثة برزويه» من حيث اتساقه مع التفكير العربي الاسلامي في بداية عصر النقل والتدوين والفلسفة، ومن حيث بعده عن تفكير العصر الفارسي الذي كان فيه كسرى انو شروان. فهو اذن من الابواب العربية في الكتاب، كما يبدو لي - أقول اذا أضفنا هذا كله رأينا ان اكثر من نصف «كليلة ودمنة» يصح نسبته الى الادب العربي وتراثه الأصيل، دون حاجة الى تخريج واجتهاد.

● ثانياً - ان من المظنون قوياً عند كثير من العلماء في هذا الباب، كون الدوافع التي حثت ابن المقفع على نقل الفصول المترجمة من الكتاب الى العربية، هي دوافع اجتماعية سياسية منبعثة من واقع الحياة العربية في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. فإن الظاهر، بكثير من الوضوح، ان ابن المقفع - وقد كان من أتباع الامويين وكتب لهم - كان ينقم على طابع الشدة التي اتسمت به سياسة المنصور، ولا سيما شدته في قطع دابر الامويين. وكان ينقم بخاصة على اعمال الولاة الذين يعملون لأبي جعفر المنصور في الاقاليم والامصار، من حيث بطشهم بالناس، وأخذهم اموال الخراج من غير ان يعودوا بها على أهل الامصار بشيء من النفع في دنياهم.

ونظن ان ابن المقفع لم يكن ينقم ذلك كله على الخليفة وعماله لمجرد انه كان من أتباع الامويين، بل كان هذا عن نزعة في تفكيره الى قيام العدل وإشاعة الخير في الناس.

واذا قرنت اقوال ابن المقفع في كتابيه المعروفين «الادب الكبير» و«الادب الصغير»، وما تضمنته «رسالة الصحابة» التي دفعها الى «أمير المؤمنين» دون ان يذكر اسم هذا الـ «أمير المؤمنين» ولعله المنصور نفسه - اذا قورنت هذه بالمضامين الفكرية الاجتماعية والسياسية، التي تحتويها حكايات «كليلة ودمنة»، يتضح لنا ان الرجل كان يرمي من طرح هذا الكتاب - كليلة ودمنة - في أيدي المجتمع العربي يومئذ الى مقصد سياسي اجتماعي، قبل المقصد الادبي، ولعلنا لا نعدل عن الصواب اذا زعمنا ان المقصد الادبي كان أبعد ما يكون عن غرض ابن المقفع حين أدخل الى الادب العربي هذا الاثر الجليل.

وعلى هذا الرأي، يمكننا القول ان «كليلة ودمنة»، ما كان منه موضوعاً وما كان مترجماً، انما دخل في أدبنا ذات يوم، لكي يعبر عن ظاهرة اجتماعية سياسية كانت بارزة الملامح في النظام الاجتماعي السياسي الذي كان يسود عهد المنصور. أي ان الكتاب، من هذا الوجه، انما هو انعكاس موضوعي لمرحلة تاريخية واقعية من حياة المجتمع العربي والدولة، وهو من هذا الوجه نفسه، يعد انعكاساً لطابع فكري كان هو طابع العصر العربي الاسلامي في تلك المرحلة التاريخية ذاتها.

وبهذا النحو من النظر الى الملابسات الزمنية التي لبس فيها الكتاب، أول مرة حلة البيان العربي، يتبين لنا أن «كليلة ودمنة» مرتبط بتراث الثقافة العربية ارتباطاً وثيقاً، لانه يرجع بأسباب وجوده في هذا التراث الى واقع الحياة العربية في حدود عصر بعينه. وهل يحتاج الاثر الادبي او الفكري الى أكثر من هذا ليكون جزءاً من التراث الثقافي لامة من الامم؟ فماذا يمنع من القول، اذن، ان «كليلة ودمنة» بهذا الاعتبار جزء من تراث الادب العربي؟

● ثالثاً - انه قد ثبت للباحثين كون الصورة العربية التي كتب بها ابن المقفع

«كليلة ودمنة» هي الصلة الاولى بين هذا الكتاب والآداب العالمية منذ عصر الاحياء في اوروبا. فان الاصول الهندية لبعض الابواب التي عثر عليها «هرتل» وغيره من علماء الاستشراق، انما امكن العثور عليها في زمن متأخر جداً عن الزمن الذي عرف العالم فيه أول مرة كتاب «كليلة ودمنة» باسمه هذا الذي لم يعرف الا بالعربية.

ذلك يعني ان الثقافة العربية هي التي عقدت هذه الصلة بين «كليلة ودمنة» مكتوبا بلغة العرب، ومؤدى بأسلوب تفكيرهم، وطريقة بيانهم، وبين الآداب الغربية. فلم لا يكون - من هذا الوجه أيضاً - اثراً عربياً داخلا في ارثنا الثقافي؟

● رابعا - ان طرائق التعبير التي اتخذها ابن المقفع سبيلا لاداء هذه الحكايات والامثال والافكار الانسانية القائمة في «كليلة ودمنة» انما هي طرائق عربية خالصة تحمل أفصح وأنبل وأنضج ما وصل اليه البيان العربي في عهد ابن المقفع. وليست هذه الطرائق، بجملتها، موصولة النسب لغوياً ببيان الهند أو ببيان فارس، بدليل أن ما عثر عليه من الفصول القديمة، ومن الترجمة السريانية القديمة عن اللغة الفهلوية القديمة، وهذه الترجمة بعنوان «قليع ودمنغ»، ويرجع عهدها الى نحو سنة ٥٧٠ م. وقد وجدت في دير في «ماردين» منسوبة الى مترجم يدعى بوده، ونشرت سنة ١٨٧٦ م[٢] - نقول - ان ما عثر عليه من هذه الفصول، اذا قورن بترجمة ابن المقفع لها، يتبين انه لم يترجمها كما جاءت في تعبيرها الهندي او الفارسي، بل تصرف فيها كثيراً، وخلع عليها من البيان العربي، لا في طرقة العبارة وحدها، بل لقد تصرف في كثير من المعاني كذلك، اي أن ابن المقفع قد أعطى الكتاب طابعه العربي من حيث الصياغة والمضمون معاً.

وبذلك يكون القول بأن «كليلة ودمنة» تراث عربي، ليس بعيدا عن روح البحث العلمي ولا عن الواقع.

● خامسا - ان الكتاب قد ارتبط بتراث الثقافة العربية من وجه آخر جدير بالاعتبار، نعني به ذلك الاثر القوي الذي أحدثه في أدبنا العربي منذ أخذ يشيع كتاب ابن المقفع في اوساط أهل الفكر والعلم والادب بمختلف امصار المجتمع العربي. وقد بدأ تأثر ادبائنا القدامى بهذا الاثر، اول الامر، بأن جعلوا ينظمونه شعراً، وكان أسبق من فعل ذلك أبان اللاحقي، ولم يصل الينا من منظومته غير قليل، ونظم بعده الوزير علي بن أحمد بن الحسين المعروف بابن الهبارية توفي ٥٠٤ هـ في كتاب سماه «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة».

وقد طبع «نتائج الفطنة» هذا، في الهند وفي «المطبعة اللبنانية» في بعبدا - لبنان العام ١٩٠٠، وأشرف على تحقيقه ونشره الخوري نعمة الله الاسمر، اذ وجد له مخطوطة في حلب كتبت بخط «الكاتب ألب بن عبد العزيز بن ألب في شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع وأربعين وسبعمائة هجرية».

ولكن هناك اختلافاً بين كتاب ابن المقفع و«نتائج الفطنة» في ترتيب الابواب، ولم نجد فيه «باب الحمامة ومالك الحزين» وفي بعض الابواب نقص في الامثال الموجودة في كتاب ابن المقفع. وقد عنى الخوري نعمة الله الاسمر تاثر «نتائج الفطنة» بنظم ما وجد فيه من نواقص.

ويوجد في مكتبة «فيينا» نظم آخر لكتاب «كليلة ودمنة» باسم «در الحكم في أمثال الهنود والعجم» بدأ به ناظم غير معروف وأكمله عبد المؤمن بن حسن

الصاغاني[٣].

هكذا بدأ تأثر الادب العربي بـ «كليلة ودمنة»، ثم تطور الامر الى ظهور أعمال أدبية ابداعية جرت على طريقة هذا الكتاب، بوضع الحكايات والامثال والافكار الاجتماعية والفلسفية بين عوالم الحيوان. ومن ذلك كتاب «الصادح والباغم» لابن الهبارية المتقدم ذكره أيضاً، وقد نشر وشرح لغته الشيخ «عزة العطار - سكرتير الشبيبة السورية بالقاهرة» سنة ١٣٥٥ هـ الموافق السنة ١٩٣٦ م.

ومن هذا القبيل كذلك، كتاب «سلوان المطاع في عدوان الطباع» لابي عبد الله محمد بن ابي القاسم القرشي المعروف بابن الظفر، المتوفي السنة ٥٩٨ هـ «صنفه لبعض القواد بتونس»، وقد طبع في تونس وبيروت. ثم كتاب «فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء» لابي عبد الله محمد بن ابي القاسم القرشي المعروف بابن ظفر، المتوفي السنة ٥٩٨ هـ «صنفه لبعض القواد بتونس» وقد طبع في تونس وبيروت. ثم كتاب «فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء» لابن عربشاه، وكتاب «القائف» لابي العلاء المعري على ما جاء في «كشف الظنون» وهو في ستين كراسة، ويزيد «كشف الظنون» ان ابا العلاء ألف كتابا اسمه «منار القائف» لتفسير «القائف» وأنه يأتي في عشرة كراريس.

ويبدو أن هذا التأثر قد وجد سبيله الى المؤلفات العربية ذات الطابع العلمي الفلسفي، مثل «رسائل اخوان الصفاء» فان فيها رسالة تقوم على المناظرة بين الحيوان والانسان، بطريقة تشبه، بعض الشبه، طريقة «كليلة ودمنة». ويقول احمد امين عن «جولد زيهر» انه يظن كون اسم «اخوان الصفاء» مقتبس من «كليلة ودمنة» اذ ورد هذا الاسم في أول باب «الحمامة المطوقة»:

«قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب، والى ماذا صار عاقبة امره من بعد ذلك. فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفا كيف يبتدئ تواصلهم، ويستمتع بعضهم ببعض»[٤].

فعلى هذا يكون قد حدث تفاعل ظاهر بين «كليلة ودمنة» وألوان اخرى من الثقافة العربية. فاذا جمعنا هذا الى جملة الامور السابقة التي عرضناها في هذا البحث، توفرت لنا أسباب الجرأة على القول بأن هذا الاثر الجليل داخل في لحمة التراث الثقافي العربي بالاصالة لا بالترجمة.

ومهما يكن في هذا الرأي من مجال للاعتراض والجدل، فانه ليكفي هذا الكتاب من الشأن في تراثنا انه نموذج للبيان العربي في أعلى انماطه، من حيث قوة الاداء، الى جانب هذا الاستيعاب لافكار عصر ابن المقفع - اقول: افكار عصره، بتأكيد - في نحو فني رائع الصورة والعرض، خلال هذه الطريقة في القصص الرمزي الواضح القصد والمغزى.

نقول: ان ابن المقفع فارسي؟.. هذا صحيح اذا رجعنا الى نظرية الدم والعنصر نتخذها، من جديد، مقياساً لتصنيف الناس والافكار والاعمال العقلية.. ولكنها نظرية أبطلها العلم، وأهلكها التاريخ.. وان عبد الله بن المقفع - في رأي العلم - رجل عربي الفكر والبيان والعلم.. بكل ما تركه في تراثنا العربي من آثار جديرة بالتقدير، جديرة بالبقاء. □□

(بيروت)

(١) ضحى الاسلام - احمد امين ج ١ - ص ٢٢٦
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٩ «الادب القصصي عند العرب» موسى سليمان ص ٩٥
(٣) احمد أمين - ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٣١
(٤) كليلة ودمنة - طبعة بيروت، مكتبة صادر ص ١٦٠

المسنون العرب في الناصرة ظروفهم المعيشية وحاجاتهم

بقلم: سميح رزق

(القسم الاول)

[كاتب المقال، الاستاذ سميح رزق من الناصرة عمل في المجتمع في مضمار العمل الاجتماعي ومراقبة سلوك الاحداث منذ سنوات طويلة. وهذا المقال هو خلاصة دراسة هامة ميدانية - علمية قدمها لكلية العمل الاجتماعي في جامعة حيفا للحصول على شهادة الماجستير]

□ يقدم هذا المقال دراسة نموذجية لطبيعة الظروف المعيشية للمسنين العرب، مواقفهم ومفاهيمهم عن العائلة والعلاقات الاجتماعية، قناعتهم من الحياة، حاجاتهم ومشاكلهم واقتراحات بالخدمات لهم كما جاءت على ألسنتهم ولسان ابنائهم الذين يعيشون معهم تحت سقف واحد، على ضوء التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الثلاثين سنة الأخيرة.

مر المجتمع العربي في اسرائيل خلال الثلاثين سنة الماضية في حالة اتصال بين جماعة شرق اوسطية ذات حضارة وعادات وتقاليد وطرق معيشة صبغت بالمحافظة والتقليد وبين جماعة ثانية ذات صبغة غربية صناعيا وتكنولوجيا وثقافة. تفاعل المجتمعان بجملة تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية تاركة آثارا حضارية على المجتمع العربي بشكل عام وعلى الظروف المعيشية للمسنين العرب بشكل خاص. فان التقليد بالماضي الذي حدد ادوارا ومكانة قوية للمسنين ظن من الناحية النظرية انه آخذ بالزوال، حيث ان المخترعات التكنولوجية والتطور الصناعي قد ادى الى زوال قيمة المهارات التي امدت المسنين بالاطمئنان الاقتصادي، بالمكانة، وبالقناعة من الحياة. واصبحت مهاراتهم عتيقة الزي لا يستطيعون بواسطتها مجاراة مهارات الجيل الصاعد اليوم. فتوسعت الشقة بين الاجيال، لان الناشئة اليوم يكبرون في محيط يختلف كلية عن محيط آبائهم. فظن كذلك بأن سرعة التغيرات في الحياة وفي الاقتصاد لربما تركت المسنين على الهامش كما حصل بالمجتمعات الغربية الرأسمالية عامة وفقدت قيمة خبراتهم. فالقول: «ان المسن يعرف اكثر» تحطم عندما اصبح الجيل الصاعد يملك المعرفة والخبرة التي يجهلها آباؤه اليوم وجهلوها بالامس عندما كانوا في سن ابنائهم. كذلك كثرت ايضا ادعاءات الاوساط الرسمية والشعبية بأن المسنين العرب يفقدون مكانتهم ودورهم، عزلوا في مجتمع عائلاتهم ومحيطهم وهم اقل احتراما اليوم وان الروابط العائلية ما بين المسنين وابنائهم ضعفت كثيرا وكثرت مشاكل ظروف معيشة الارامل والاعزبين والمرضى منهم وزادت احتياجات المسنين بشكل عام. لقد كان ما لدينا من معلومات اساسه انطباعات عامة وفرضيات غير مؤسسة على بحث علمي. وان فقدت صحة مثل هذه الانطباعات لربما تؤدي الى تخطيط غير موضوعي لخدمات جديدة للمسنين

العرب. لذلك اصبحت الحاجة قائمة لفهم اعمق لكيفية تأثير التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي نواجهها، على احتياجات المسنين العرب لخدمات جديدة وعلى مواقفهم ومكانتهم. فجاءت هذه الدراسة تستفحص هذه التأثيرات والمواقف بعد ثلاثين سنة من الاحتكاك الحضاري بين مجتمعنا العربي الشرقي، ومجتمع صناعي غربي بصفته. وهدفت الى:

● اولا: تجهيز معلومات اساسية عن تغيرات الظروف المعيشية للمسنين في الناصرة اثناء الانتقال من مجتمع تقليدي الى مجتمع عصري صناعي تكنولوجي.

● ثانيا: فحص فرضيات معينة عن تأثير التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على المسنين استوضع فيما بعدا التي تساهم في مراجعة صحة الانطباعات والفرضيات التي ذكرت سابقا في المقدمة.

● ثالثا: استعمال حقائق البحث لهدف تخطيط خدمات مناسبة للمسنين العرب في البلاد. كما هو معلوم لدي، هذه الدراسة هي الاولى من نوعها حول الموضوع في المجتمع العربي في اسرائيل ولو انه توجد بعض القصورات في هذا البحث بسبب ما يأتي:

١) اجريت الدراسة في مدينة واحدة فقط، مع ان حيث البحث واسلوبه يمكن ان يلائم لدراسة مماثلة في اي بلد عربي باسرائيل، الا انهم حكروا ليلائموا الناصرة.

٢) ربما يصعب تعميم حقائق هذا البحث على المحيط العربي القروي في البلاد، لكن بعض الحقائق تساعد في الدلالة على المشكلة بوجه عام.

قضايا البحث «العينية» والفرضيات:

تستهل البحث بعنصر مصطلح «العصرنة» مرادفا للتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ومصطلح العصرنة هو التمشي مع هذه التغيرات والتأثر بها على المستوى الفردي والجماعي. تؤمن بعض النظريات ان العصرنة تقود الى هبوط في مكانة المسن وتقليص لأدواره وإضعاف علاقاته العائلية ودعم العائلة له، وتقليل من نشاطه الاجتماعي وينتج عن كل ذلك ضعف في قناعته من الحياة (كوزل ١٩٦٠، نيفا ١٩٦٢، اربوش ١٩٧٢) بينما يؤمن باحثون آخرون بانه بالرغم من العصرنة فان تقليد احترام المسنين قد يقف حاجزا امام انخفاض باحثون حاد في مكانة وتكيف المسنين (ماك ١٩٦٦، باركت ١٩٤٦، هيرن ١٩٥٥، ويو، ١٩٣١)، والبعض الآخر من الباحثين يعتقد بأن التقاعد عند بعض المسنين بسبب النشاط المتزايد او التغيير في ادوارهم الوظيفية والارتفاع في شعور قناعتهم من الحياة (هافيجرست ١٩٦٨، كاميخ وهنري ١٩٦١).

مهما يكن من وجهات نظر، يتفق الجميع انه بسبب ازدياد نسبة المسنين ومشاكلهم في المجتمع المتبدل صناعيا، سياسيا واجتماعيا تبرز هنالك حقوق جديدة من الاحتياجات للمسنين والحاجات الى خدمات جديدة لهم. والقصد الاساسي من هذه الدراسة هو التحقيق العملي للظروف المعيشية للمسنين العرب في مجتمع اسرائيل العصري وهم جزء من مجتمع عربي اساسه التقليد بتقدير مكانة المسنين وأوجدوا في محيط صناعي عصري وقد اخذت بالاعتبار مشاكل البحث المتعلقة بالمواضيع الرئيسية الآتية:

أ. ما هي ظروف المسنين العرب بالنسبة الى:

١) العلاقات العائلية والدعم فيها:

الى اي مدى يسود نمط العائلة التقليدية الموسعة او هل تبدل هذا النمط كليا بنظام عائلة العصر المستقلة الانفرادية وبنظام علاقات عائلية من نوع جديد، وكم اضاع المسن العربي من مكانته في اسرته؟

٢ـ النشاط والدعم

الاجتماعي: الى اي مدى ينسحب المسن العربي المتقاعد النشاطات عامة، او يبقى عنصرا فعالا في عائلته ومجتمعه مدعوما في شيخوخته منهم، ام اصبحت ادواره محدودة اكثر في شيخوخته ؟

٣ـ قناعته من الحياة:
الى اي مدى المسن العربي قنوع من طريقة حياته ومن ظروف معيشته

٤ـ ادراكه للمشاكل وحقول الاحتياجات:
ما هي المشاكل الرئيسية التي تواجه المسن العربي ؟ وما هي حاجاته الاساسية والمساعدات والدعم الذي يطلبهم ؟

الخدمات: الى اي مدى يعي المسن العربي للخدمات القائمة وهل يستعملها

ب) كيف تؤثر العصرنة الذاتية في المواضيع المتعلقة بالمواقف والسلوك في حقول حياة المسن العربي ؟

١ـ ما هي علاقة العصرنة بقوة العلاقات العائلية والدعم العائلي ؟

٢ـ ما هي العلاقة بين العصرنة والنشاط الاجتماعي ؟

٣ـ ما هي العلاقة بين العصرنة والشعور بالوحدة وعدم القناعة من الحياة عموما ؟

٤ـ ما هي العلاقة بين العصرنة وادراك المشاكل والشعور بالاحتياجات ؟

٥ـ الى اي مدى الوعي للخدمات، استعمالها وشعور القناعة فيها جزء لا يتجزأ من العصرنة ؟ الفرض ان احدى العوامل الرئيسية التي تؤثر على حياة المسنين العرب في اسرائيل هو الاتصال والاحتكاك بمجتمع غربي صناعي عصري.

عند الاجابة على قضايا البحث فرض ان كمية وكيفية الاتصال يؤلفان ميكانزما رئيسيا يتداخل ويعترض بين مدى والتحام تقبل الفرد مع العادات والتقاليد او مع مدى والتحام عصرنته هو

التغيرات الرئيسية وموديل العلاقات المتبادلة:

هدف قيادة التطور والفحص العيني للفرضيات الرئيسية المبنية على قضايا البحث الرئيسية اعلاه، وضعت تصويرا لموديل نظري خطط جميع المتغيرات الرئيسية المتشابكة وتأثيراتها في هذا الموديل اعتبر الجيل والعصرنة كمتغيرين ثابتين ومجتمعين سوية. هذا الجمع بين الجيل والعصرنة يعني ان العمر له علاقة بدرجة وكمية العصرنة اي ان:

أ ـ يحتك الاصغر بالعمر بالحياة العصرية اكثر. فبناء عليه هم اي صغار السن (نسبيا) عصريون اكثر. ولذلك سنقارن جيلين بعضهما ببعض المسنين وابنائهم.

ب ـ ان العصرنة تؤثر على كليهما على المسنين والصغار بالسن ـ فبناء عليه ان الاختلاف بمدى العصرنة مرتبط بمواقف الافراد من كلا الفريقين.

جـ ـ من المتوقع ان الجمع بين الجيل والعصرنة يؤثر على المواقف والسلوك التي تفحصها هذه الدراسة. ان الادب والابحاث التي استعرضت سابقا بينت ان العصرنة غيرت ظروف معيشة المسنين. وبهدف تسهيل التحليل فقد صنفت المتغيرات غير الثابتة ( ) الى مجموعات تمثل المواضيع الرئيسية التي استعرضها الادب والابحاث المتعلقة بهذه الدراسة. فالموديل النظري اعلاه يقترح ان العصرنة تؤثر على العلاقات العائلية والدعم فيها بين افرادها، وتؤثر في مدى النشاط الاجتماعي والدعم للمسنين، وفي مدى قناعة المسنين من الحياة، وعلى حقول حاجاتهم ووعيهم للخدمات واستعمالها والقناعة فيها.

ولقد رتبت هذه التغيرات غير المستقلة في اسلوب منطقي معين لما يتعلق بعلاقاتهم المتبادلة، ولسبب ضيق الوقت وقلة المصادر المالية انتصر تحليلنا على التبسيط حيث اعتبرت جميع التغيرات غير المستقلة انها

متساوية في الكم والكيف والمقترح انه من الممكن ربط علاقة خطوطا جميعا مع العصرنة ولكن بانماط مختلفة.

كذلك من المفروغ منه ان المتغيرات غير المستقلة تؤثر الواحدة بالاخرى وان علاقاتها متبادلة. فسير العلاقات المقترحة بالموديل هي كما يلي:

ان الجمع بين العصرنة والتقدم بالسن يؤثر في علاقة الفرد بعائلته وبنشاطه الاجتماعي وبقناعته من الحياة بشكل عام (كل هذه المتغيرات تتفاعل بعضها ببعض). هذه العوامل تعمل معا كمتغيرات متداخلة في العلاقة المفروضة بين العصرنة والجيل وبين الاحتياجات المحددة لخدمات والوعي لهذه الخدمات كذلك. زد على هذا ان العلاقات المتبادلة الموجودة بين الاحتياجات للخدمات والوعي للخدمات مجتمعين يؤلفان مستوى آخر من المتغير المتداخلة ويؤثران في استعمال الخدمات في النهاية. ومن المفروض بعد الاستعمال انها يؤثران على مدى القناعة من الخدمات المستعملة.

هذه العلاقات وغيرها ابرزت بواسطة الاسهم في الموديل، ومثل على ذلك فرض ان القناعة من الخدمات تؤثر تأثيرا متبادلا على القناعة من الحياة عامة.

ان تحليل الموديل كما اوضح سابقا لم يفصّل في كل تشعباته وكان التركيز الرئيسي حول العلاقات المختلفة للعصرنة على المواقف في الحقول الرئيسية.

الفرضيات ١) العصرنة والعلاقات العائلية

من المتوقع ان يكون هناك اختلاف بين المسنين وابنائهم في فهم قوة العلاقات العائلية والدعم العائلية والدعم العائلي عند التمسك بعامل العصرنة كمتغير ثابت.

ففي مجموعة المسنين الأنماط التربوية الثقافية التقليدية ومفاهيم مبنى العائلة لا تقوض حالا في ظروف العصرية. فبناء عليه فرض بان المسنين التقليديين اصحاب الاتجاه التقليدي واصحاب الاتجاه العصري يتساوون في درجة عالية بفهم مستوى قوة العلاقات العائلية، بينما تتكيف الاجيال الصغيرة للعصرية بصورة اسرع، فبالنسبة للأبناء تفقد الانماط التقليدية ومفاهيم مبنى العائلة والعلاقات العائلية معناها تدريجيا ولا تختفي كلية. فبناء عليه فرض أن مفهوم الابناء ذوي الاتجاه التقليدي عن العلاقات العائلية والدعم فيها يبقى بنفس مستوى فهم العلاقات العالي عند ابائهم، بينما الابناء ذوو الاتجاه العصري يفهمون العلاقات العائلية والدعم فيها بمستوى اقل فرضا من مفهوم ابائهم. هذه الفرضية يمكن تلخيصها باللوحة رقم ١

لوحة ١ـ تميز العلاقات بين العمر والعصرنة وبين فهم العلاقات العائلية

العمر والعصرنة	المسنون		الابناء	
المتغير	التقليديون	العصريون	التقليديون	العصريون
العلاقات العائلية والدعم فيها ودرجة فهمها	عالية وقوية	عالية وقوية	عالية وقوية	وسطى في قوتها

٢ـ الفرضية الثانية ـ العصرنة والاشتراك في النشاطات الاجتماعية

عند فحص مفهوم النشاط الاجتماعي عن قرب، نرى انه يميز بعاملين رئيسيين ـ

أـ هنالك وجه بدائي للعلاقات والنشاط الاجتماعي وهو التفاعل مع انسان قريب، جار، صديق ـ ب ـ وجه مركب للنشاط الاجتماعي وهو التداخل في العالم الذي يحيط بالمسن كزيارات ومقابلات اناس آخرين، الذهاب لاماكن ومؤسسات وتنفيذ نشاطات في المجتمع.

لا يوجد اي سبب يجعلنا نتوقع بان كمية الاحتكاكات البدائية تتغير كثيرا في القوة على ان كيفيتها يمكن ان تتغير اذا يلجأ المسن لمجموعة جيله بدل افراد عائلته فبناء عليه فرض ان درجة العلاقات الاجتماعية البدائية تتساوى بالقوة بدرجة (قوية) عند المسن ذي الاتجاه التقليدي وذي الاتجاه العصري.

والوضع معكوس عند الافتراض بالنسبة للعلاقات المركبة الخارجية للنشاط الاجتماعي في حين ان الانسان العصري مفتوح اكثر مع العالم الذي يحيط به (انكلس سميث ١٩٧٥: ٢٠) فرض بانه كلما كان المسن ذا اتجاه عصري اكثر كلما كانت درجة قوة اشتراكه في النشاط الاجتماعي الخارجي اعلى من المسن ذي الاتجاه التقليدي. كذلك حيث ان معظم الابناء قريبون باعتبارهم من ابائهم، فالمتوقع الحصول على انماط متشابهة في هذه المجموعة عندما يسألون كيف يفهمون اشتراك نشاط ابائهم الاجتماعي في مفهومه البدائي آخذين بعين الاعتبار انهم يعيشون مع ابائهم ويقاسمونهم المفاهيم

لوحة ٢ـ تميز العلاقات ما بين العمر والعصرنة وبين فهم النشاط الاجتماعي

العمر والعصرنة / المتغيرات	المسنون		الابناء	
	التقليديون	العصريون	التقليديون	العصريون
فهم العلاقات البدائية عالٍ ـ منخفض	عالٍ	عالٍ	عالٍ	عالٍ
فهم العلاقات المركبة عالٍ ـ منخفض	منخفض	عالٍ	لم يسأل الابناء عن بنود تتعلق بالاشتراك بالنشاط الخارجي لآبائهم	

فرضية رقم ٣: العصرية والقناعة من الحياة

بعد الاخذ بالاعتبار عملية فرض التقاعد على العامل نتيجة للعصرية في سن معين، الأمر الذي ادى الى التقليل من نشاط المسن ودوره الوظيفي واشتراكه العام بمجتمعه فرض انه كلما كان المسن عصريا اكثر كلما انخفض شعور القناعة من الحياة عنده.

لوحة ٣ تميز العلاقة بين العصرنة وقناعة المسنين من الحياة:

العمر والعصرنة / المتغير	تقليديون	عصريون
القناعة من الحياة عالٍ ـ منخفض	عالٍ	وسط

فرضية رقم ٤: العصرية والحاجة الى الخدمات

ان العصرية أزاحت الى حد كبير الاهتمام بالمسن ودعمه عن كاهل ابنائه الى الخدمات الخارجية. نتيجة لذلك فان المسنين وذوي الاتجاه العصري لربما يشعرون بحاجة اكثر الى الخدمات الخارجية اكثر من المسنين ذوي الاتجاه التقليدي. ان نفس هذا النمط يفترض على شعور الابناء بوجهة نظرتهم عن احتياجات والديهم اذ يعيشون معهم ويقاسمونهم بفهمهم او ادراكهم لهذه المشكلة اعني ذلك ان الابناء الاكثر عصرية يشعرون شعورا اكبر من الابناء التقليديين بأن اباءهم بحاجة اكثر للخدمات الخارجية لسد احتياجاتهم. ومجمل القول: من المحتمل ان يكون الاباء والابناء العصريين اكثر وعيا وعلما عن الامكانات الخارجية المختلفة للخدمات واستعمالها مما يفسر عندهم سببا آخر لتعبيرهم عن الحاجة لخدمات ضرورية على المجتمع ان يقدمها لكن، ولو انه قد فرض في مجموعة الاباء والابناء الاكثر تقليدا بأن

احتياجات الاباء يسدها الابناء، فان تجهيز الابناء للخدمات ربما كان جزئيا، فيشعر الاباء والابناء هنا ببعض الحاجة الى المساعدات الخارجية (مستوى وسط).

لوحة ٤: تميز العلاقة بين العصرنة والعمر وبين الحاجة للخدمات للمسنين

العمر والعصرنة / المتغير	المسنون		الابناء	
	التقليديون	العصريون	التقليديون	العصريون
فهم الحاجة للخدمات المسنين مرتفع ـ منخفض	وسط	عالٍ	وسط	عالٍ

فرضية رقم ٥: العصرية والوعي نحو الخدمات ونحو استعمالها

مع ظهور المشاكل والاحتياجات التي تكاثفت مع ارتفاع مستويات الحياة العصرية فمن المفروض ان يزداد الوعي نحو الخدمات واستعمالها. وبوجه عام فان الفرضية هنا تنص بانه كلما ازدادت عصرية الفرد ازداد وعيه واستعماله للخدمات. لم يفترض فروق كبيرة بين فهم الاجيال اذ يعيشون سوية ويقاسمون بعضهم المدارك والفهم والانماط السلوكية في هذا المضمار. ولكون الخدمات للمسنين في الناصرة قليلة للغاية، فاننا نتوقع مستوى ليس مرتفعا من الوعي ومن استعمال الخدمات. بالنسبة للآباء التقليديين وابنائهم فيفترض ان لديهم فهما ذا مستوى منخفض، وعند الاباء العصريين وابنائهم فهم بمستوى متوسط من الوعي لحاجة الخدمات واستعمالها. وان نظرنا الى بعض الخدمات القائمة على انفراد ربما نجد نمطا مختلفا نحوها.. اي مستوى من الوعي والفهم والادراك عاليا لها وللاستعمالها حتى عند المجموعات ذات الاتجاه التقليدي. ان الفرضية العامة بشأن الوعي واستعمال الخدمات مدونة في لوحة رقم ٥.

لوحة رقم ٥: تميز العلاقة بين الجيل والعصرنة وبين الوعي واستعمال الخدمات

الجيل والعصرنة / المتغيرات	المسنون		الابناء	
	تقليديون	عصريون	تقليديون	عصريون
وعي المسنين للخدمات مرتفع منخفض	منخفض	وسط	منخفض	وسط
وعي المسنين لاستعمال الخدمات مرتفع منخفض	منخفض	وسط	منخفض	وسط

فرضية رقم ٦: العصرية والقناعة من الخدمات

حيث أن مستوى القناعة من الخدمات يعتمد على عوامل مختلفة الى جانب العصرية، لم يُتنبأ عن وجود علاقة مباشرة ما بين العصرية والقناعة من الخدمات.

خاتمة: اذا اعتبرنا جميع الفرضيات مجتمعة نرى انه في معظم الحالات تتشابه فرضياتنا ما بين مواقف وفهم الاباء والابناء وذلك بسبب تركيب الجيل والجنس في عينة البحث (معظمهم من اناث حديثات السن كثيرا) وبسبب عيش اولئك المسنين مع ابنائهم تحت سقف واحد.

كذلك لا يمكن التوقع بان يكون الاختلاف بين الاكثر تقليديا والاكثر عصرية كبيرا حيث ان اولئك المسنين الاكثر تقليديا يمارسون بعض عناصر العصرية. وان الابناء الاكثر حضارة وعصرية يحتفظون ببعض المواقف والعادات التقليدية.

(يتبع في العدد القادم)

المؤتمر الأول لتحرير الأوقاف الاسلامية بداية هامة لمعركة لم تنته !

● بقلم : رجاء الياس ●

● حرصت الجبهة الشعبية على الاهتمام بقضايا جماهيرنا العربية ، وكان لها دور كبير وحاسم في المعارك الهامة التي واجهت جماهيرنا وخاضتها أبان نظام الحكم العسكري وجعلت من كل قضية معركة شعبية نضالية من اجل البقاء وحماية الأرض .

وفي اطار نشاطها السياسي رفعت الجبهة الشعبية قضايا جماهيرنا ومطالبها أمام المسؤولين وعملت ، بصدق ، لايصال حقيقة الوضع المأساوي التي وصلت اليه جماهيرنا العربية نتيجة الحكم العسكري وسياسة الاضطهاد القومي والتمييز العنصري الى الرأي العام الاسرائيلي والعالمي .

ومع تصاعد نضال جماهيرنا العربية وصمودها ، ازداد عنف وشراسة سياسة القمع والاضطهاد القومي واتسعت أكثر وأكثر عمليات النهب والسلب للأرض .

منذ قيام الدولة استولت السلطات على أملاك الأوقاف الاسلامية ومداخيلها باعتبار هذه الأملاك ، أملاك «غائبين» .

وفي إطار تدخلها في شؤون الطائفة الاسلامية ، وبكل وقاحة ، خرقت كل الأنظمة المتعارف عليها بين الطوائف وطرحت أمام الكنيست مشروع قانون جديد سمته قانون «القضاة الشرعيين» ، ويقضي بتعيين لجنة رسمية يسيطر عليها غير المسلمين تقوم باختيار قضاة الشرع الاسلامي في البلاد . وبذلك عملت حرمان المسلمين من إدارة شؤونهم الدينية بأنفسهم . وصادقت الكنيست على هذا القانون عام ١٩٦١ .

لم تقف الجبهة الشعبية مكتوفة الأيدي أزاء هذا القانون والهجوم على حق المسلمين في أملاكهم . وعقدت اللجنة التنفيذية للجبهة الشعبية بتاريخ ٦١/٥/٢٣ اجتماعاً تداوليا لبحث قضية الوقف الاسلامي وكيفية التصدي لهذا القانون . وخرج الاجتماع ببيان شجب تصريحات «المستشار» أوري لوبراني التي أفصحت عن طبيعة سياسة الاضطهاد القومي وأغراضها . وطالبوا بإنهاء هذه السياسة وبالغاء الحكم العسكري وجاء في البيان « وقد أجمع المجتمعون على ان الجبهة الشعبية التي قامت لتوحيد قوى الشعب العربي في كفاحه من أجل حقوقه ، قد توطدت خلال السنوات الثلاث التي مرت على قيامها ولا تزال تتمسك بها وتراها إطار وحدتها وأداتها الكفاحية » .[1]

ودعا الاجتماع الى عقد مؤتمر قطري بهذا الصدد ووزع كذلك فرع الجبهة الشعبية في عكا منشوراً طالب فيه بأن يعاد الى المسلمين حق الاشراف على أوقافهم وحق انتخاب قضاتهم وهيئاتهم الطائفية . كما دعاهم الى النشاط والعمل لانجاح المؤتمر الشعبي الاسلامي الذي سيعقد في عكا في ١٨ حزيران ١٩٦١ بدعوة من عدد من المبادرين من أعضاء الجبهة الشعبية وغيرهم للمطالبة بالغاء «قانون القضاة الشرعيين» وبتسليم أوقاف المسلمين الى هيئاتهم المنتخبة أسوة بسائر الطوائف وبانتخاب مجلس اسلامي أعلى يعين القضاة الشرعيين ويستعيد حق ادارة الأوقاف الاسلامية ويشرف على شؤون المسلمين في البلاد .

ولاقت دعوة المبادرين الى عقد المؤتمر الاسلامي العام حماسا كبيراً وتأييدا بين جميع فئات جماهيرنا العربية . وقد وقع على هذه الدعوة عدد من المهتمين بالقضايا الاسلامية في الرملة وحيفا والناصرة وعكا وغيرها.... وأصدروا بيانا جاء فيه « حتى هذا اليوم لا تزال الحكومة تعتبر الأوقاف الاسلامية أموال غائبين متروكة يديرها القيم على أموال الغائبين وتتصرف بوجهها وزارة الأديان التي أقامت من نفسها وصيا على المسلمين وشؤونهم الدينية وأوقافهم ومساجدهم ومقابرهم ومقدراتهم ومقدساتهم عن طريق لجان استشارية معينة ليس لها أي صلة شرعية أو قانونية » .

واستطرد البيان « ومؤخراً صادقت الكنيست على قانون لتعيين قضاة الشرع في البلاد من هيئة غير اسلامية ، الأمر الذي يتعارض ومبادىء الشرع الاسلامي الحنيف ويفرض على القضاة الخروج عن الشرع الاسلامي ويجعل المسلمين خاضعين لسيطرة مثل هؤلاء القضاة ومثل تلك اللجان والهيئات المعينة .

« ان مشروع القانون الحالي يلغي قانون المجلس الاسلامي الأعلى الذي ضمن إدارة شؤون المسلمين للمسلمين ومن المسلمين وحافظ على حقهم في انتخاب أعضائه ، وتبعاً لذلك حق ادارة أوقافهم وتعيين رجال دينهم وقضاتهم والمحافظة على شؤونهم الدينية . لذلك ندعو نحن الموقعين أدناه المواطنين العرب الى مؤتمر يعقد في عكا في ١٨ حزيران ١٩٦١ لاستنكار القانون المذكور والمطالبة بالغائه وتأمين حق المسلمين في انتخاب مجلس اسلامي أعلى يدير شؤونهم الدينية وأوقافهم ويعين قضاتهم ويحافظ على حقوقهم وفقا للشرع الاسلامي الحنيف » .[2]

التواقيـــــع

الطيبة ـ الشيخ عبد القادر ، الحاج داود ، محمد مصطفى الدسوقي ، عبد الرازق الحاج سليم ، كامل حسن جابر ، عبد الحميد أبو عيطة ، المحامي حسين العراقي .

عكا ـ ابراهيم الزيبق ، محمود أبو شنب ، عبد الرحمن يحيى ، صالح ادريس ، سعد خضر سواعد ، قاسم بكري ، عبد السروجي .

باقة الغربية ـ أحمد مصطفى عنوس ، محمود يوسف صالح ، مصطفى محمد بيادسة ، أنيس سليمان مصاروة (مؤذن مسجد القرية) ، أحمد محمد كنانة ، يوسف سليمان ، أحمد العقو ، ابراهيم يوسف ، حسن صالح محمد ، ابراهيم محمود مواسي ، محمود منصور عثامنة ، محمد كنانة ، لم عبد اللطيف حاج محمد ، وجيه محمد ، سعيد كنانة .

الناصرة ـ أمين زياد ، يوسف خطيب ، طاهر الفاهوم ، سليمان سليمان مصطفى ، عوض محمد علي ، حامد العبد هريش ، توفيق فضل الحامد ، أحمد الحاج اسماعيل ، عبدالله أبو أسعد ، شفيق قسيم ، عبدالله غازي راكد ، حسين خميس ، صبري العبد يوسف ، موسى مفلح نصرة ، ابراهيم مفلح نصرة ، أحمد الشيوري ، محمد ابراهيم الزعبي ، علي الشيوري ، أحمد مصطفى عبد الخالق ، محمد يوسف العباسي .

حيفا ـ سعيد أحمد ، محمد خاص ، عصام العباسي ، تم أحمد ، علي عاشور ، محمد علي أبو داهش ، عودة الأشهب ، علي الحمرة ، محمد قاسم ، يوسف محمد عبدالله ، عبد القادر يونس ، توفيق عمار ، حسن خضر .

كفرياسيف ـ أحمد ابراهيم شحادة ، محمد الحاج .

ام الفحم ـ محمد يوسف عبد الرازق ، محمد مثقال ، محمد يوسف شريدي ، مصطفى اسعد اسعيد ، حسن سليمان ، كامل حسين كساب ، محمد خليل كساب ، محمود محمد قاسم .

الرملة ـ علي يوسف ابلاس (عضو اللجنة الاسلامية) ، ديب تم العيسوي ، عبد الكريم الشيمة ، محمد علي حداد (سكرتير الجمعية الخيرية الاسلامية) ، اسحق أبو عمارة ، درويش العجو ، خالد كحيل ، مصطفى ابلاس .

اللد ـ موسى أبو غزال ، عباس عبد العزيز ، عبد الكريم شحادة ، عبد اللطيف حسونة ، فؤاد رجب حسونة ، حسن حجازي .

يافا ـ محمد علي الصباغ ، عبد اللطيف الطيبي ، أسعد مكي .

شفاعمرو ـ علي أمين رمضان ، محسن الشاعر ، أحمد الرقي ، عبد الهادي ياسين ، سعيد أحمد خطيب ، توفيق علي الحاج .

دير الأسد ـ طالب رشيد عثمان ، محمد حميد أسدي ، جمال ذباح .

البعنة ـ قاسم عابد .

شعب ـ يوسف درويش .

عرابة ـ مصطفى محمد الحسين .

وازاء الاهتمام الواسع بالمؤتمر والنشاط الدينامي لانجاحه ، حاولت دوائر السلطة ، وبشتى الوسائل ، إفشال المؤتمر فأخذ مبعوثوها وعملاؤها يجوبون القرى والمدن لتخويف الجماهير من التوقيع على النداء الداعي الى عقد المؤتمر ، واختلقوا الأكاذيب التي نشرتها

الصحف السلطوية وادعت فيها أن طابع المؤتمر هو «طابع حزبي»!! ويسيطر عليه الحزب الشيوعي ، وأن الجبهة الشعبية تقف وراء «التحريض» على السلطة والدولة وتوزع المناشير في القرى العربية .

وهكذا نشرت «جيروزلم بوست» في ١٥ حزيران ١٩٦١ مقالاً تتهم فيه المؤتمر بالتهمة إياها .. تهمة الشيوعية ، وقالت أن الجبهة الشعبية وزعت مناشير في قرى الجليل حرضت فيه الطائفة الاسلامية على السلطات ـ كذلك انتشرت عرائض ضد تدخل الحكومة في الشؤون الاسلامية وضد قانون القضاة الشرعيين .

ثم توجت «البوست» بالوعود فقالت « ان مصدرا مسؤولا في مكتب مستشار الحكومة صرح أمس أن الحكومة تنوي إعادة الأوقاف الخيرية في سبع مدن الى اللجان الاسلامية وهذه الأوقاف يديرها الآن القيم على الأموال المتروكة » .[3]

وكان قد اتصل مراسل «الاتحاد» بأحد كبار المبادرين الى عقد المؤتمر الاسلامي ليعطي رأيه فيما نشرته الجيروزلم بوست فقال « اذا كانت السلطات تلوح بحل هذا الأمر الآن فذلك بفضل نشاط المبادرين الى عقد المؤتمر العتيد ، وبفضل النشاط الذي قام به المخلصون في الكنيست وخارجها لتحرير الأوقاف الاسلامية ، ولكن القضية هي أعمق من أوقاف خيرية في سبع مدن ، فهي قضية أوقاف في البلاد ، وقضية حق المسلمين في ادارة أمورهم أسوة بسائر الطوائف ، وقضية حقهم في انتخاب مجلس اسلامي يرعى شؤونهم الدينية ويختار قضاتهم ليحكموا حسب الشرع ، وبهذا نأمل أن يكون المؤتمر تجسيدا لوحدة المسلمين في سبيل تحقيق أهدافهم المشروعة » .[4]

المؤتمر الاسلامي

لقد كان من المفروض أن يعقد المؤتمر في «سينما بستان» في عكا في ١٨ حزيران ١٩٦١ ولكن تدخل جهاز الظلام وضغوطه على صاحب السينما حال دون عقده هناك . فانتقل المؤتمر في اليوم نفسه الى «مقهى الدلالين» ورفعت الشعارات التالية على جدران المقهى « نريد مجلسا اسلاميا أعلى » ، « لنلغ قانون القضاة الشرعيين » ، « لتتحرر الأوقاف الاسلامية حتى تعود الى أصحابها المسلمين » . وكان هذا المؤتمر صفعة جديدة بوجه السلطات الحاكمة ، اذ عبر عن عزم جماهيرنا العربية واصرارها على مواصلة النضال والكفاح من أجل حقوقها القومية والسياسية والاجتماعية .

وبرز في المؤتمر الطابع الوحدوي غير الطائفي من خلال اشتراك كل فئات الجماهير العربية فالبرغم من طابعه الاسلامي كان مؤتمراً لكل الجماهير العربية من أجل حق المسلمين كجزء لا يتجزأ من حق شعبنا في البقاء .

مجريات المؤتمر

افتتح المؤتمر بتلاوة الشيخ أحمد محمود حسين آيات من القرآن الكريم . وافتتح المؤتمر المحامي محمد الحاج بكلمة جاء فيها « ان المسلمين جزء من الشعب العربي لذلك لا عجب ان نجد معنا غيرنا من الطوائف . اننا نعتز بهذه الوحدة وقد قررنا أن نخوض معركتنا ضمن الاطار العام لمعركة الشعب العربي . فسياسة الحكومة تجاه المسلمين تمثل جزءاً من سياسة الحكومة حيال الشعب العربي ، ونعتقد بأن حل قضايا المسلمين ومساواتهم بباقي الطوائف مرتبط بتغيير السياسة

العامة وذلك مرهون بنضال الجماهير العربية الموحد. ان مشاكل المسلمين تنحصر في الأوقاف التي حرموا منها ويبلغ ريعها خلال الثلاث عشرة سنة الأخيرة (٤٠) مليون ليرة كان يمكن ان تنفق على بناء المدارس والمستشفيات والاهتمام بالعجزة والأيتام والفقراء. وهي تنحصر كذلك في التدخل السافر في أمور المسلمين الشرعية هذا التدخل الذي تجسد في قانون القضاة الشرعيين الذي يهدف اضفاء صبغة «قانونية» على تعيين قضاة يسهلون عملية النهب. ودحض المحامي محمد الحاج زعم الحكومة ان مغادرة رجال المجلس الاسلامي الأعلى السابق البلاد تجعل املاك الوقف أملاك «غائبين»، قائلا ان الوقف ملك للمسلمين وفي الامكان انتخاب مجلس اسلامي اعلى جديد. ومن اجل الدفاع عن حقوق المسلمين هب المسلمون تؤيدهم القوى الدمقراطية وأعلنوا تصميمهم على النضال حتى يُلغى قانون القضاة الشرعيين وتحرر الأوقاف الاسلامية وتستقل الطائفة في شؤونها ويفتح المجال لانتخاب مجلس اسلامي أعلى»[٥].

وتحدث بعد ذلك احد قادة الجبهة الشعبية السيد طاهر القاهوم وجاء في كلمته: «لقد ظهرت تلفيقات كثيرة حول المؤتمر وستظهر تلفيقات أخرى، ولكن بوصفي احد المبادرين الى عقد هذا المؤتمر أعلن أن حركتنا غير حزبية، ونحن على استعداد للتعاون مع كافة العناصر التي تؤيدنا في نضالنا لنيل حقوقنا. وتطرق الى مشكلتين أساسيتين تواجهان المسلمين الا وهي الأوقاف الاسلامية ومشكلة قانون «القضاة الشرعيين». اذ قال: «ان القانون مخالف للشرع ويجعل القضاة الآن بيد جهاز معين يرغمهم على تعيين متولين يكونون دمى يسيطر عن طريقها على الأوقاف.

وهناك مئات الوف الدونمات التابعة للأوقاف وتحاول الحكومة هضمها والاسلام حرص على قدسية القضاة لأنهم مرجع المسلمين وأن الولاة المسلمين دأبوا على تعيين القضاة في أكثر المسلمين علما وأحسنهم خلقا، وظلت صلاحية الحاكم المسلم تعيين القضاة حتى زمن الانتداب العام ١٩٢١ حين سن المندوب السامي «قانون الأوقاف» فأعطى المسلمين حق إدارة أوقافهم، وأقام المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يعين قضاتهم».

ورد السيد القاهوم على الزعم القائل أن الأوقاف «ملك غائبين» قائلا: «المجلس الإسلامي الذي كان قائما لم يخلق المسلمين بل أن المسلمين هم الذين أوجدوا المجلس الإسلامي، والأوقاف هي ملك الطائفة مجتمعة وهي ملك للمسلمين حتى اذا لم يبق في إسرائيل غير مسلم واحد فهي ملكه»[٦].

وتلاه المحامي حسني عراقي من الطيرة فقال: «قبل ثلاثة أشهر وقفت هنا مع من وقفوا للدفاع عن الأراضي العربية حيال مؤامرة «قانون تركيز الأراضي». وها نحن نقف اليوم لنعالج مؤامرة جديدة. وهذه المؤامرة تضطرنا لأن نصيح مرة أخرى في وجه المتآمرين أن قفوا. ان الحاكم يصيغ قوانين الاضطهاد باستمرار ويفتش عن قوانين سلب ويشطب قوانين تحول بينه وبين أغراضه، ورأى أن تفسير الشريعة يحول بينه وبين نهبه ولذلك لا بد له من تغيير القوانين!!

وتساءل المحامي عراقي عن سبب مضي الحكومة في طريقها: «ألعلها رأت


طاهر القاهوم

في سلوك النواب العرب (المباثيين) ما يبرر هذا الاضطهاد!!! ووصف قانون القضاة الشرعيين بأنه تسلط الحكومة الدنيوية بالدين.

وقال عن قانون القضاة الذي ينص على قيام لجنة تعيين من مسلمين ويهود: «لا نخاف من اليهود أقل مما نخاف من هؤلاء المسلمين فهم سيكونون خلاصة العفن.

ان الجماهير هي مادة النضال وعلى المثقفين أن يقفوا في طليعة المعركة ليضيئوا السبيل أمام غيرهم»[٧].

وتحدث السيد عبد الحميد أبو عيطة (الطيبة)، ومن بعده تحدث كل من السادة: خليل حسني من عكا والمحامي محمد عبد القادر يونس. ثم جاء دور عضو الكنيست الشيوعي توفيق طوبي الذي حضر المؤتمر بدعوة رسمية وكانت اللجنة المبادرة قد بعثت بدعوات خاصة لجميع أعضاء الكنيست العرب ليحضروا المؤتمر ويطرحوا آراءهم حول قضية الأوقاف. فقال النائب طوبي:

«بوصفي نائباً شيوعياً وعربياً في الكنيست أتمنى لهذا المؤتمر النجاح من أجل


المحامي حسني عراقي

إعادة حقوق المسلمين المسلوبة فهي حقوق عزيزة على العرب أجمعين». وفند الدعاية التي تقول أن المؤتمر حزبي قائلا «ان هذه الأغنية أصبحت مبتذلة والذي دعا الى هذا المؤتمر دعا الى المؤتمرات السابقة. دعا اليها الحكم العسكري دعت اليها سياسة سلب الأراضي ونهب الأوقاف، دعت اليها سياسة انتهاك حقوق الشعب العربي والتعدي على كرامة الجماهير. وهذه المؤتمرات رد حاسم على كل غاصب. لا يدعو اليها فرد ولذلك لا يصدق قول الباطل أن الشيوعيين نظموا هذا المؤتمر وان كانوا يؤيدونه. ما من جماهير ناضلت من أجل حقوقها الا وقال الاستعمار أن وراء ذلك «مؤامرة شيوعية». فلهذا فالمضطهدون بصفوفهم الموحدة. شيوعيين وغير شيوعيين، مسلمين ومسيحيين ودروز تؤيدهم القوى الدمقراطية اليهودية عقدوا المؤتمرات وسيعقدون غيرها الى أن يزول الظلم. ان بعبع الشيوعية قد قذفته الجماهير الى سلة المهملات لأنها تدرك أن قوتها في وحدتها فصفوف متراصة تستطيع أن تقف أمام سارق الأراضي ومطارد العامل وسالب الأوقاف والمتدخل الفظ في الحقوق. انها ستقف دائما موحدي الصفوف». وذكر

كيف وقفت الكتلة الشيوعية في الكنيست الى جانب المسلمين في أثناء عرض قانون القضاة الشرعيين «ان هذا القانون جاء ليعطي بن غوريون أداة جديدة للسيطرة والنهب، جاء ليُبطل حقوقا اكتسبها المسلمون اضطرت حكومة الانتداب الى الاعتراف بها، من الخفافيش من يوسوس في آذان اخواننا المسلمين: ما خص الشيوعيين في الأوقاف والقضاة؟

انا ضد الاجراءات التي تميز ضد المسلمين لأننا ضد التمييز. لأننا نريد المساواة، لأن هذه القوانين تعبير عن سياسة الاضطهاد القومي، عندما تعلن الحكومة مشروعاً لتهويد الجليل فهي تهدف الى تشريد المسلم والمسيحي والدرزي. الشعب العربي واحد ونضاله واحد وسيبقى كذلك، ولذلك مطالبكم هي مطالب الشعب العربي جميعاً فلنناضل من أجلها ولنشد المعركة.

مؤتمر الجماهير ضد تركيز الأراضي قبر قانون «التركيز»، وهذا المؤتمر يستطيع بتأييد القوى الدمقراطية أن يفشل مؤامرة سلب الأوقاف»[٨]. وفي ختام المؤتمر قررت رئاسة المؤتمر التي انتخبها المؤتمرون والمكونة من السادة: طاهر القاهوم، نور الدين العباسي، المحامي محمد الحاج، المحامي محمد عبد القادر يونس، المحامي هاشم شحادة، المحامي حسني عراقي، نايف الحاج، سليم القاسم، عبد الحميد أبو عيطة، عصام العباسي، صالح عبد القادر، محمد أبو يونس، الشيخ أحمد محمود حسين، شريف خليلية، رباح عوض، ابراهيم الزيبق، محمود أبو شنب، كامل علي الخطيب، يوسف الخطيب، ابراهيم الأحمد، ومحمد الشريدي أن تكون لجنة دائمة لمواصلة ومتابعة المعركة من أجل تحرير الأوقاف والغاء قانون القضاة الشرعيين.

وخرج المؤتمر الاسلامي العام بالقرارات التالية:ـ

١ ـ منذ قيام دولة اسرائيل والمسلمون محرومون من ادارة شؤونهم الدينية والمحافظة على مقدساتهم والانتفاع بأوقافهم والاشراف على محاكمهم الشرعية وكل ما يتعلق بأمور دينهم من تعيين القضاة ومأموري الأوقاف ومديري الأيتام والأئمة والوعاظ والمأذونين والمؤذنين وغيرهم. في حين أنهم منذ بدء الاسلام وهم يمارسون هذه الحقوق ويتمتعون باستقلال تام في ادارة جميع هذه الشؤون.

ويرى المجتمعون أن جميع الطوائف الدينية الأخرى في اسرائيل تتمتع بحقوقها الدينية وتدير أمورها دون تدخل الأوساط والسلطات الحكومية واشرافها. وأن الحيف والغبن والعنت على المسلمين وحدهم وهم يشكلون الأكثرية الساحقة من الشعب العربي، ولهذا يقرر المؤتمرون أن تصرف الحكومة هذا ناتج عن سياسة التمييز والاضطهاد الواقعين على المواطنين العرب، وجزء لا يتجزأ من سياسة التمييز المفروضة عليهم.

٢ ـ ويقرر المؤتمرون أن قانون القضاة الشرعيين الذي أقره الكنيست ليس سوى مظهر من مظاهر سياسة الاضطهاد والتمييز المفروضة على المواطنين العرب، واعتداء صارخ على حقوق المسلمين واستخفاف بمعتقدات دينهم وتعاليم شرعهم الحنيف. أن المؤتمرين يقررون أنه لا يجوز لغير المسلمين أن يولي القضاة لذلك فهم

يستنكرون هذا القانون ويطالبون بالغائه.

٣ ـ أن المجتمعين يقررون أن ادارة الأوقاف والانتفاع بريعها هما من حقوق المسلمين وحدهم ويحتجون على بقاء أوقافهم تحت إشراف «القيم على أموال الغائبين»، وابقاء ريعها تحت تصرف وزارة الأديان التي أقامت من نفسها قيماً على المسلمين وشؤونهم، ويرى المؤتمرون أن وزارة الأديان لا تملك حق تعيين اللجان الاستشارية. ويعتبرون وجود لجان من هذا القبيل معينة افتئاتا على حقوق المسلمين في ادارة أوقافهم بأنفسهم ويهدف الى حرمانهم من انتخاب من يتولى ادارة هذه الأوقاف، وعليه فالمؤتمرون يطالبون بحل اللجان الاستشارية وتحرير أوقاف المسلمين وتسليمها للمسلمين ليتولوها بأنفسهم.

٤ ـ أن المجتمعين يرون أن المسلمين تمتعوا، حتى في عهد الانتداب البغيض بإدارة شؤونهم الدينية وأوقافهم ومقدساتهم، بواسطة مجلس اسلامي أعلى ينتخبه المسلمون أنفسهم. ويحق لهم أن يمارسوا هذا الحق، وهم قد مارسوه فعلاً منذ ظهور الاسلام. وعليه فالمؤتمرون يطالبون بتنفيذ هذا القانون وتمكين المسلمين من انتخاب مجلس اسلامي كي يشرف على شؤونهم الدينية جميعها. أن المسلمين الذين يشاركون في انتخاب الكنيست ممثلة الشعب في البلاد يستطيعون أن ينتخبوا من يدير شؤونهم بموجب شريعتهم السمحة»[٩]. واستمرت المعركة لتحرير الأوقاف الاسلامية تحل قضايا المسلمين. واهتم رجالات الطائفة الاسلامية الحريصون على الأوقاف وشؤون المسلمين في تطوير تلك المعركة لانقاذ البقية الباقية من الأوقاف والمقدسات والممتلكات. وبمبادرة من رؤساء المجالس المحلية وممثلي جميع اللجان الاسلامية الشعبية في يافا وحيفا واللد وعكا وغيرها وعدد كبير من الشخصيات، عقد اجتماع واسع في الناصرة بتاريخ ٣٠/٤/٧٧ من أجل تدارس أوضاع المسلمين الدينية والاجتماعية ومسألة أوقافهم المصادرة المنهوبة. وقرر الاجتماع عقد مؤتمر موسع يكون جدول أعماله:

١ ـ بحث أوضاع المسلمين في البلاد وحقهم في ادارة شؤونهم الدينية الشرعية واستعادة ممتلكات أوقافهم.

٢ ـ اتخاذ القرارات المتعلقة بهذا الوضع المؤلم المنافي للشرائع الدينية والدنيوية ووضع حد للوضع القائم منذ قيام الدولة.

٣ ـ قيام لجنة اسلامية عامة تمثل المسلمين أمام السلطات وتبذل المساعي والجهود لتحقيق مطالبهم العادلة بممارسة ادارة شؤونهم الدينية واستعادة أوقافهم.

وعقد المؤتمر الاسلامي العام الأول بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٧ في الناصرة وخرج بقرارات يندد فيها بالسلطة والمسؤولين عن الاستهتار المزمن بحقوق الطائفة الاسلامية، وندد المؤتمر بعملية تصفية الأوقاف والممتلكات التي تتم بموافقة «أولياء» يأتمرون بأوامر السلطة.

ومؤخراً صعدت «اللجنة الاسلامية العامة» من نشاطها وقررت عقد المؤتمر الاسلامي العام الثاني في الناصرة في ٧/٩/١٩٨٥.

(١) الاتحاد ٣٠/٥/٦١
(٢) الاتحاد ٦/٦/٦١
(٣) الاتحاد ١٦ حزيران
(٤) الاتحاد ١٦/٧/٦١
(٥) الاتحاد ـ ١٨/حزيران/٦١
(٦) الاتحاد ـ ٢٠/حزيران
(٧) الاتحاد ١٨/٧/٦١
(٨) الاتحاد ١٨/٦/٦١
(٩) الاتحاد ١٨/٦/٦١

الفن التشكيلي الفلسطيني

بقلم : فؤاد عوض
(القسم الأول)

مقدمة :

سأتناول هنا موضوع الفن التشكيلي الفلسطيني ، من خلال اعمال فنانين فلسطينيين مبدعين ، وسوف أقف على مميزات ومواضيع وأسلوب هذين الفنانين ، ولكن تناولي للموضوع سوف يكون بصورة مغايرة تماما عما سبقه مما يجعل هذه الدراسة

مادة جافة أشبه بالمعادلات الرياضية ، ولن أقف عند حدود الموضوع المتناول فقط كي أقيم اعمال الفنان ، إنما سأدخل في عمق تفاصيل اللوحة وسأقيمها من ناحية فنية جمالية وذلك من خلال فحص الأسس العامة والخاصة وسبب ذلك انه اذا حاولنا تقييم الفن التشكيلي الفلسطيني ومن خلال الأسس المتعارف عليها في الفن فقط فاننا بذلك نظلم عددا كبيرا من الفنانين الفلسطينيين .

الفن التشكيلي كغيره من الفنون له قواعده وأساليبه . وحسب اعتقادي ان أي عمل أدبي أو فني لا بد وان يحتوي على شكل وعلى مضمون وهذا شيء بديهي . طبعا هناك تفاوت بالنسبة للتأكيد على المضمون أو على الشكل . وهذا التأكيد هو الذي يحدد الاشكال الفنية التي تتغير بين الفينة والأخرى . وهذا في الأساس متعلق بمدى ارتباط أو ابتعاد المبدعين عن الشكل والمضمون . فهناك فئات تؤكد المضمون وتهمل الشكل .. وفئات تؤكد الشكل وتهمل المضمون . وهناك فئات توازن بين الشكل والمضمون . ومن خلال هذا المقال سأحاول أن أقيم الفنانين موازنا بين الشكل والمضمون .

إذا الخطوة الأولى هي تجريد اللوحة الفنية من الموضوع واعتبار اللوحة عبارة عن خطوط واشكال والوان وتحديد العلاقة بين الخطوط والاشكال والالوان . ان تحديد العلاقة بين مجموع الخطوط داخل اللوحة لا يمكن فصله عن إطار اللوحة ان كان مربعاً أو مستطيلاً أو بأي شكل آخر . يعني ان أطراف إنتهاء اللوحة هي ايضا جزء من التشكيل . بكلمات أدق هي جزء لا يتجزأ من اللوحة ذاتها . فالاطار يعطي اللوحة حجمها ويحدد ذلك . وايضا بامكانه ان يقوم بالايهام باستمرارية هذه اللوحة ولا محدوديتها . ومن خلال هذه العلاقة نستطيع ان نتوصل الى استنتاجات مهمة . أي ان نقوم بعملية تحليل لنوعية العلاقة التي تربط الخطوط والالوان مع بعضها البعض . وقد نكتشف تنافرا أو التقاء وقد نكتشف ترابطا أو تقاطعا . والكتل والاحجام المختلفة والالوان تؤثر علينا ومن المعروف ان الالوان لها تأثيرها النفسي . فاللون الاحمر يثير فينا العاطفة واللون الاسود يثير فينا الحزن والألم لذلك نلبس الاسود عندما يموت انسان عزيز علينا . ومدلولات الالوان تختلف من فترة الى أخرى وتختلف عند شعوب أخرى ـ كما جاء في كتاب رودولف جروس [١]

ويمكننا القول ايضا ان الخطوط والكتل والاجسام في تشكيلها تؤثر هي الأخرى تأثيرا حسيا ونفسيا علينا وتعطي نفس تأثير الالوان علينا . ولها مدلولاتها كما ان للالوان مدلولاتها . ونموذجا على ذلك فاننا لو أخذنا تمثالين متشابهين لا نفرقهما عن بعض سوى فارق الحجم ووضعناهما امام الجمهور كعمل فني : التمثال الاول بارتفاع ١٥ م الى فوق بينما التمثال الآخر ١٫٥ م فهل هناك اختلاف بينهما في التأثير على الجمهور ! الجواب نعم . طبعا هناك اختلاف كبير وهذا الاختلاف نابع من فرق الحجم بين التمثالين .

قد يسأل السؤال : ما هي الحاجة لمثل هذا النوع من التحليل ؟

أولاً : ان مثل هذا التحليل قد يدلنا على عمق الوعي الفني والموهبة الفنية عند الفنان أو قد يدلنا على أسس ومقاييس عامة تكون مناراً وضوءا لأولئك الفنانين الذين سوف يحملون هم رسالة الفن .

ثانياً : ان العلاقة بين الخطوط والاشكال والكتل والالوان من جهة وعلاقاتها مع الموضوع من جهة أخرى تعطي نتائج تتعلق بمعايير ومقاييس فنية يجب أن نسير عليها منها مثلا مقياس التوازن والانسجام . فمثلا

(١) رودولف جروس ـ علم نفس واجتماعي لساوي

يجذبك جزء ما من لوحة دون غيره دون ان تعلم السبب . هذه المقاييس تساعد في التوصل الى نتائج محددة والوقوف على اسباب الانجذاب وحينها سندرك لماذا يجذبنا هذا الجزء من اللوحة أو ذاك دون غيره .

عدا عن المقاييس التي ذكرتها فهناك حاجة الى مقاييس أخرى يستعين بها الدارس للفنون التشكيلية ، وهذه المقاييس هي التي تكشف عن قيمة العمل الفني وهي تأتي اما بالاستناد على دراسات سابقة أو آراء لفنانين ونقاد فنيين أو عن طريق المقارنة للاعمال الفنية . ان عملية التحليل في مثل هذه الحالة للاعمال الفنية قد تكشف بعض الاختلاف وتكشف أوجه الشبه . ونتيجة للمقارنة فان هذه المقاييس تتجلى واضحة . وهذا يوصلنا الى نتائج تجعلنا نتوصل الى تقدير حقيقي لقيمة هذا العمل الفني .

ان الطبيعة هي النموذج الاول والأساسي للقيام بعملية القياس . وان معظم المذاهب الفنية تأسست وتم تحديد الفروق والاختلافات بينها بواسطة الرجوع الى الطبيعة ـ الأصل ـ ومقارنة العمل الفني بها تلك هي الطريقة الأساسية في عملية القياس وهناك طريقة أخرى تتم بواسطة مقارنة عملين فنيين ببعضهما البعض والمفاضلة بينهما . وسوف اقوم باستعمال هذه الطريقة في القياس في مقالتي هذه . كذلك تجدر الاشارة الى ان المقاييس والموازين تختلف من عهد الى آخر وتختلف أيضا من فنان الى آخر وهي بطبيعة الحال تكون الأسلوب أو بالتحديد الأكثر هي القاعدة التي يرتوي منها أسلوبه ، فعدم وجود توازن في تقسيم اللوحة عند فنان ما هو إلا ميزة لأسلوبه الخاص ولكن على الرغم من عدم وجود توازن فذلك لا ينفي وجود قاعدة وتوازن من نوع آخر غير متعارف عليه وهذا يذكرني باعمال اثنين من فنانينا كنت قد اطلعت على معظم اعمالهما الفنية هما كامل المغني وتيسير بركات فالأول قريب جدا من التوازن التقليدي ـ الكلاسيكي ، أما الثاني فانه يكسر هذا التوازن التقليدي ويقوم بتقسيم جديد للوحاته .

كامل المغني

لوحة «السجين» رسمها المغني بمناسبة يوم السجين عام ١٩٧٥ . هذه اللوحة هي من مرحلة الانتقال من الاسلوب الطبيعي الى الاسلوب الواقعي في الفن . ونرى في هذه اللوحة كما في بعض اللوحات التي رسمت بنفس الفترة مزيجا من الاتجاهين . فالاتجاه الاول يتمثل في اختيار المغني لتصوير معاناة السجين الذي يطل على السجين من خلال قضبان السجن ـ بمعنى آخر هو يصور ما يشاهده داخل الزنزانة من خلال قضبان الشباك . وهذا الشباك هو إطار اللوحة . ولكننا لا يمكن ان ندخل الى الداخل لأن قضبان الشباك تمنعنا من ذلك . ونحن لا نرى في الداخل سجينا مرهقا يجلس في زاوية الزنزانة . إنما نرى أيد قوية تمسك بحديد الشباك واربعة وجوه مليئة بالتعابير القوية تنظر في اتجاهات مختلفة ويحتوي اللوحة هناك رموز لها معانيها مثل خارطة فلسطين . قوس باب . سلاح وطاقة بيت . وهذه العناصر بعيدة كل البعد عن الاسلوب الطبيعي في الفن . وهي قريبة . أكثر من الأسلوب الواقعي في الفن . حيث يختار الفنان هذه العناصر ويؤكدها كما يرغب . ولذلك نرى وجوها فقط دون باقي الجسم وهناك قبضات تمسك بالحديد دون رسم باقي اليد . ونحن هنا نجد المغني يمزج بين الأسلوب الطبيعي والواقعي ويتجه في باقي اللوحات التي رسمت بعد ذلك الى أسلوب الواقعية الاشتراكية وذلك حسبما يقول هو .

ولنعد الى التشكيل الفني في هذه اللوحة : تقسم اللوحة في ضمن الاطار الذي اختاره ، وهو بهذه الحالة اطراف الشباك . الى ٦ أجزاء ـ ثلاثة أجزاء في القسم السفلي وثلاثة أجزاء في القسم العلوي . وهذا التقسيم تم بواسطة

حديد الشباك بشكل بسيط ومباشر . وتقسيم اللوحة بشكل متساوي يعطي أهمية كافية وقوة كبيرة للتفاصيل التي تظهر ضمن هذه المساحة أو ضمن الاطار ويعطي إحساسا بالثبات والتوازن كما لو ان انسانا ما يقف على رجليه الاثنتين وليس على رجل واحدة مما يجعله عرضة للسقوط أو التحرك والاهتزاز . هذا التقسيم الأشبه ما يكون بورقة حساب يؤكد كل عناصر اللوحة ولكن التركيز الأساسي يوجه نحو العنصر الذي يظهر في المربع الأوسط ثم الى العناصر الثلاثة التي وضعت على الخطوط الأساسية التي تفصل المناطق عن بعضها . والعناصر التي تم التأكيد عليها هي : وجه السجين الذي ينظر الى الخارج بعينيه ذات النظرات الحادة نتيجة للحزن العميق والمعاناة الذاتية لانه فقد الحرية . والعنصر الثاني وهو ايضا قوي جداً هي قبضة اليد التي تمسك قضيب الحديد الذي يفصل بين الحياة الداخلية في الزنزانة والحياة الخارجية (الحرية) . هذه الايدي بكل ما فيها من قوة هي ايضا في مركز اللوحة . هذه القبضات قوية جدا تضغط على الحديد بكل ما فيها من قوة . ومن ثم عناصر أخرى في المربعات العليا وتبدو بعيدة جدا وهي أقل أهمية من سابقاتها ولكنها ايضا ضرورية اذ تعطي صورة أو خلفية وتضيف تفاصيل أخرى للوحة مثل ظهور السلاح وخارطة فلسطين في هذه المساحة من اللوحة .

ويجيء التشكيل الفني للخطوط والالوان ليخدم الفكرة في لوحة «القدس» بشكل رائع . ان المساحة داخل إطار اللوحة مستغلة بشكل يثير الدهشة فكل قطعة من هذه المساحة مستغلة بشكل جيد ويدخل فيها عنصر يخدم الفكرة المعبر عنها في اللوحة ولا نشعر مثلا ان هناك مساحة فارغة مما قد يضطر الفنان الى ادخال عناصر لا تخدم الفكرة بشكل مباشر أو على سبيل المثال إدخال خطوط متقاطعة كما في خلفية لوحة الأم .

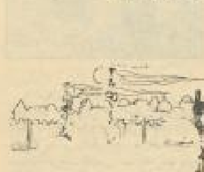
الأم

ان إدخال مثل هذه الخطوط في خلفية اللوحة يشعر المشاهد انها دخيلة على مسطح اللوحة وهي لا تتعلق بالفكرة وهذا ما قصده ، فان مساحة اللوحة ـ القدس ـ مستغلة كلها بدون فراغات . بالاضافة الى ان الفكرة لها استمرارية حتى بعد الاطار . فالاطار هنا لا يجيء كي يحدد ويؤطر اللوحة إنما لكي يبرز جو وروح الاستمرارية في اللوحة . ولنحاول الآن الدخول في تشكيل لوحة القدس .

لوحة «القدس» للفنان كامل المغني

تتكون اللوحة من ثلاث مستويات (كل خطين يحددان مستوى واحدا) وهذه المستويات تقسم اللوحة بشكل أفقي وتتقاطع مع ثلاث خطوط عمودية لتعطيك توازنا ملحوظاً مع إطار اللوحة وكذلك تأكيدا لبعض عناصر اللوحة.

ان المستوى الاول وهو المستوى القريب منا - يتكون من خطين. الخط السفلي المستقيم والخط الثاني الذي يشبه موج البحر يرتفع الى نقطة عالية لينخفض على شكل قوس وهذا الخط يوضح ويعطي الخط الوصفي لخوذ الجنود.



لوحة تفصيلية بين الخطوط العمودية والمستويات الأفقية

أما المستوى الثاني والأبعد الاعمق قليلاً من الاول، وهو ايضا يتألف من خطين يحددان المستوى الثاني والذي هو عبارة عن خط افقي وخط دائري محدب ليعطي الخط الوصفي للبيوت التي تطل من خلف سور القدس وسطوح البيوت وقباب الكنائس والجوامع.

والمستوى الثالث والذي يأتي في أعلى سطح اللوحة وهو في عمق اللوحة ايضاً إذ ان هذا المستوى هو أبعد واعمق المستويات. ويتكون من خط واحد مستقيم وخط آخر متعرج ولكن ليس بشكل حاد وهذا المستوى هو الأفق ويحوي خطوطا دائرية وأخرى متعرجة. (هذه الخطوط هي التي تحدد خطوط العلم الفلسطيني). ان إضافة الخطوط العمودية في هذا التشكيل له وظيفته إذ أنه يؤكد العناصر التي تقع في داخل هذا التقاطع. فالخط العمودي الأول مع الخط العمودي الثاني يؤكدان على قطاع من مدينة القدس ورأس الجندي مع الخوذة الخضراء مع العلم الفلسطيني الذي يرفرف بالاضافة الى قبة الصخرة. والخط العمودي الثاني والثالث يؤكدان التركيز على الكنيسة والعلم الذي يرفرف بالاضافة الى قرص الشمس.

ان هذه الخطوط العمودية والتي تلفت النظر بطبيعتها، تؤشر نحو مناطق وعناصر أخرى بحاجة الى تأكيد هي الأخرى. وهذه الخطوط العمودية ليست مستقلة الا تتقاطع مع الخطوط الأفقية لذلك تبدو وكأنها استمرار للخطوط الأفقية.

ولنعد الى حدود اللوحة ذاتها، هذه الخطوط العمودية هي سلاح الفدائيين الفلسطينيين المرتفع الذي يعطيه المغني شكل المئذنة. هذا السلاح يتقاطع مع المستوى الأفقي الثاني للوحة، ليصبح - السلاح - شكل المئذنة المكملة للقباب في المستوى الثاني والمكملة لخوذ الجنود في المستوى الاول من اللوحة. وتنسجم الخطوط الدائرية في المستوى الاول والتي هي خوذ الجنود ليس فقط مع السلاح - المئذنة في المستوى الاول وانما تنسجم أيضاً مع القباب والبيوت في المستوى الثاني.

وفكرة كامل المغني الرائعة هي تلاحم الجنود الذين يقفون سورا أماميا لمدينة القدس ويكونون بها سدا منيعا للدفاع عن مدينة القدس، وتلاحم سلاحهم وحتى ان الجنود

(الرأس مع الخوذة) بالاضافة الى سلاحهم - والذي يأخذ شكل مئذنة ايضاً جميع هذه العناصر تمتزج مع العناصر الأخرى لتعبر عن التلاحم بين الانسان الفلسطيني مع مدينة ما وليس فقط مع مدينته الا مع قريته ايضا وبالتالي مع الوطن. وهناك سؤال يثيره المغني من خلال أحد عناصر اللوحة. حول العلم الذي يرتفع هل هو علم فلسطيني أم اردني؟

ان مثل هذا السؤال قد يسأل ويحق وهو بالتالي يحرك خيال المشاهد. المغني لم يحدد الالوان تحديدا دقيقا ولكن خيال المتفرج يضع الالوان في مكانها، وذلك بعد ان يحلل كل عناصر اللوحة ومن ثم يصل الى الاستنتاج ومثل هذا الاستنتاج يعطي المتفرج الاحساس بالرضى. ان الغالب في هذه اللوحة هو الالوان الغامقة والداكنة والتي تعطيك احساسا بالكآبة والانقباض. ولا يترك المغني أي لون دون ان يزجه باللون الاسود أو لون آخر غامق. حتى قرص الشمس ولونها الاصفر الممزوج بالاحمر لا يخلو من الاسود ولذلك تبدو الشمس باهتة داكنة وهذا مرجعه الى نفسية المغني الذي يعيش ظروف احتلال.

• • •

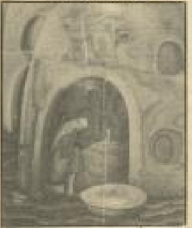
يتميز أسلوب اغلب الفنانين الفلسطينيين ومنهم المغني بالمباشرة. فانك تحس وأنت تقف أمام لوحة المغني ان الشخصيات تتوجه إليك مباشرة بصمودها بكبريائها وبقوتها، ايضا بالعزة والأنوثة كما هو الحال في لوحة «نحو التراث». فالمرأة في هذه اللوحة تواجهك بشكل مباشر وحاد كما لو كانت تقف أمامك لتؤكد على هذه الصفات ولتؤكد وجودها. فالصمود مثلا قد يعبر عنه بواسطة قبضة يد تمسك بالسلاح وقد يعبر عنها بشكل غير مباشر وعميق لكنه يوحي لك ويجعلك تشعر انه يعبر عن الصمود. ولوحة «انتظار» تختلف عن باقي لوحات المغني



نحو التراث

لوحة «انتظار» تصور امرأة جالسة في داخل الطابون والى جانبها «جرة» وهي تنتظر لتخرج ما بداخل الطابون - يجوز ان يكون خبزا أو شيئاً آخر. ويبدو عليها الارهاق والتعب وكأن كل هموم الدنيا انصبت على رأسها وهي تنتظر - ويجوز ايضاً انها تنتظر عودة الابن والزوج أو الأخ.

لنحاول التطرق الى تشكيل اللوحة لنفحص مدى استخدام ونجاح التشكيل في بلورة الفكرة المعبر عنها في اللوحة.



(لوحة انتظار)

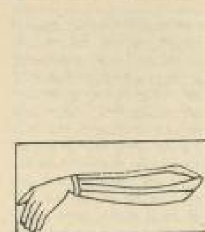
في المستوى الاول وهو المستوى الأهم حيث كل العناصر والتفاصيل تتركز في هذا المستوى وهو متكون من خطين دائريين. الخط الخارجي يعطي شكل الطابون والخط الآخر بدا مستقيما ثم ينحني بعد ان يرتفع ليعطي شكل حدود جفصان وفي المستويات التالية ايضا خطوط أخرى.

ان هذه الخطوط الدائرية تعطي التأكيد للعناصر التي بداخل الشكل الذي يأخذ شكل حدود الجفصان وهي في هذه الحالة الأم التي تجلس على قطعة من الخشب.



(تفصيل لوحة انتظار)

الخطان الوصفيان للمستوى الاول ينغلقان على نفسيهما ويعطيان التركيز على العنصر الأهم الذي هو المرأة. هذا العنصر هو الذي أخذ التأكيد والتركيز وهذا رسم بألوان غامقة اكثر من ألوان الطابون وهو يتكون من خط منغلق أكثر من الخط الوصفي للطابون، كما هو مبين في الرسوم التوضيحية.



لوحة تفصيلية للوحة «انتظار» توضح المستويات والعناصر المؤكدة

لنحاول ان نجعل كلامنا بعيداً عن التجريد. الأم في لوحتنا منطوية على نفسها وهي تجلس بشكل شبه دائري منغلق على نفسه وهذا يتشابه مع خط المدخل - باب الطابون الذي يعطي شكل قوس. خط الطابون الوصفي ينغلق على ذاته، وخط القوس - المدخل - ينغلق ويكون اشبه بالاطار حيث يعطي أهمية للأم الجالسة وهي ايضا منغلقة من ناحية الشكل وتأخذ شكلا شبه دائري - وتنغلق معها الأسرار والاحلام والاحزان والهموم وباقي المستويات هي ايضا خطوط وصف للطوابين الاخرى وهي ايضا تأخذ شكلا شبه دائري وكذلك الطاقات - الشبابيك وهي ايضا بشكل دائري. كل

عنصر في هذه اللوحة ينغلق على ذاته مما يعطي احساسا بالانتظار اليائس.

ان العمق في لوحات المغني بأغلبها محدود وهي، لوحاته مسطحة تخلو من التجسيم وهذه ميزة أساسية في فن النحت ولكنها ايضا موجودة في الرسم ولكن بواسطة الايهام عن طريق تعتيم اللون أو تفتيحه اكثر. هذا الشيء يعطي ايهاما بالحجم فيضيف للعنصر بعدا ثالثا. ان البعد الثالث قائم في عناصر معينة من لوحات المغني وغير قائم في عناصر أخرى. فمثلا الوجوه الأدمية دائما يعطيها حجما. والوجوه الأدمية عنده ذات لون بني غامق محروق، مائل الى السمرة بفعل أشعة الشمس الحارقة.

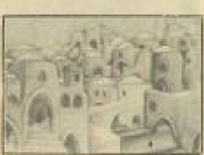
كما قلت فالتجسيم عنده له ما يميزه عن



(لوحة العطش)

باقي الفنانين: ان جمع ألوان مختلفة وأحدها بجانب الآخر ويفصل بينها خط أسود أو بني يكون حلقة وصل ومزج بين اللونين المختلفين. هذا الجمع بين الالوان يعطيك الايهام بالحجم كما هو موضح في الشكل.

وهو دائماً يستعمل اللون الأسود في الخط الوصفي للعناصر المرسومة في لوحاته واعني بالخط الوصفي هو ذلك الخط الذي يعطي صورة للشكل مثلما هو واضح جدا في لوحة «انطباعات نابلسية» فنجد ان الخط الوصفي يعطي للبيوت شكلها.



(لوحة - انطباعات نابلسية)

ان الايهام بالحجم يتم عنده بهذه الطريقة التي تميزه ويتم كذلك بالطريقة التقليدية المتبعة وهي التلاعب في اللون الغامق والقاتم بحيث يعطي هذا الايهام ويمكن ملاحظة الطريقتين مجتمعتين في لوحات عديدة منها «نحو التراث» - «العطش» - و «الأم». فالايهام بالحجم بالطريقة التقليدية يمكن ملاحظته في منديل الفتاة على رأسها (لوحة نحو التراث) أما الايهام بالحجم الذي يميز المغني فيمكن ملاحظته في ثنايا الفستان الذي تلبسه الفتاة.

لوحة أخرى للمغني ولكنها تختلف عن

اللوحات التي تحدثت عنها ، وسنرى ما هو وجه الاختلاف . رسم المغني لوحة «استمرار» عام ٨٢ وهو يطرح «سدارة» الاستمرار في القتال والكفاح وهذا يتجلى بشكل واضح في هذه اللوحة التي تحمل ايضاً اسم استمرار . لنبدأ بفحص تشكيل اللوحة : تتكون اللوحة من خطوط عمودية على الغالب وأخرى أفقية . لنبدأ من المستوى البعيد (العميق) والذي يتكون من خط وصفي يأخذ شكل خارطة فلسطين ويبدأ من طرف اللوحة العلوي حتى نهاية الطرف الثاني ويأخذ اللون الأسود .



(اللوحة ـ استمرارية)

ان اختيار اللون الاسود في عمق اللوحة يعطي إحساساً بالعمق ولكنه عمق محدود . ثم يليه مستوى ثان وخطه الوصفي ايضاً يشبه خارطة فلسطين ولونه المميز الأخضر . ثم يليه المستوى الثالث ولونه الابيض والمستوى الرابع الاقرب إلينا يحتل أكبر قسم من سطح اللوحة ، وهو المستوى المركزي ولونه أحمر . ثم المستوى الأخير والذي يأخذ شكلاً أفقياً وعمودياً أشبه بزاوية قائمة ، ان هذا المستوى هو الحد الاخير لاستمرار الخطوط العمودية التي تكبر رويداً رويداً ، ان المستوى الاخير والذي يأخذ شكل زاوية ـ قائمة هو بمثابة خط يتبع استمرارية المستويات العمودية . فهو بمثابة حاجز ومانع . في المستويات الاول والثاني والثالث هناك خطوط أفقية ولكن وظيفة هذه الخطوط التركيز والتأكيد على عناصر إضافية مثل رؤوس الجنود . ولنحاول الآن ان نرى اللوحة أمامنا ولنعطي للخطوط والالوان دلائلها . فالالوان المميزة للوحة هي الوان العلم الفلسطيني ويبدأ بالاسود منتهياً بالاحمر . الخطوط الأفقية في المستوى الاول والثاني والثالث ما هي الا مدافع القنابل الفلسطينيين ، وهذه الخطوط لها وظيفتها الموضوعية ـ «مدافع» ـ ووظيفتها الجمالية «تأكيد لرؤوس الجنود» وكذلك تعطي التأكيد لقرص الشمس المشتعل . والمستوى الأخير الذي يعطيه لوناً رمادياً ويدخل فيه الجنزير كي يتبع استمرارية الكفاح . ان الجنزير هنده اداة لقرض الحصار ، وهو يرمز للقوى الرجعية العربية ولذلك ايضاً اعطاه اللون الرمادي . فالرمادي ـ لون محبط وهذا اللون معروف انه مهين فالسجون مثلاً تطلى جدرانها باللون الرمادي كي تقتل نفسية السجين .

وفي المستوى الرابع حيث اللون الاحمر غالب نرى تفاصيل أخرى فنرى خوذة جندي تنبت منها زهرة .

اللون الاحمر هو لون الدم ، التضحية . الشهداء يسقطون لترتوي الاشجار من دمائهم . وجذور الشجرة تدخل عميقاً في داخل الارض . ونرى في هذه اللوحة كيف ان الخطوط والالوان تدخل في صراع مع بعضها البعض . فالمستوى الاخير يحاول ان يكبت ويمنع تقدم واستمرار المستويات الأربعة . لكن عملية التفاعل والنضال تولد الشهداء ودمهم يروي جذور الشجرة التي تمتد عميقاً ولا يستطيع اي حاجز (الخط الأفقي ـ السلسلة) أو اللون ـ اللون الرمادي) من الوقوف أمامها ومنع الاستمرارية .

ان الالوان التي يستعملها المغني في هذه اللوحة قوية جداً . واقوى هذه الالوان الاحمر حيث يستنفر المشاهد ويجذبه من مسافة بعيدة . والمغني يستعمل الوان العلم الفلسطيني في هذه اللوحة وفي لوحات أخرى لكن بشكل أقل حدة وهو كغيره من الفنانين الفلسطينيين الذين يستعملون الوان العلم الفلسطيني بشكل مباشر مثل الفنان فتحي غبن من غزة والذي سجن اكثر من مرة لأنه يستعمل هذه الالوان . ان استعمال هذه الالوان وطرح فكرة اللوحة بشكل مباشر وحاد يجعل اللوحة قريبة اكثر الى الملصق السياسي والذي يعتمد على عنصر المبالغة في الاثارة . فالملصق يعتمد ايضاً على الفكرة المباشرة البسيطة والقوية لكي تسبب الاثارة السريعة ولفترة محدودة بعكس اللوحة الفنية والتي يبقى سحرها وتأثيرها وموضوعها قائماً لفترة طويلة جداً . فاللوحة الفنية ليست لوحة لفترة محدودة ولمكان معين ، بل تحافظ على قيمتها الفنية في كل مكان وفي كل زمان .

ولكننا حتماً سنظلم المغني وغيره من الفنانين اذا قلنا وأكدنا ان لوحاتهم اقرب الى الملصق . ولكني اعتقد ان لوحات المغني وغيره من الفنانين لا تخلو من بعض العناصر التي تخص فن الملصق اكثر من اللوحة الفنية : ١ ـ مثل استعمال الالوان الحادة القوية الحارة التي تلهب الجمهور وتشد انتباهه . ٢ ـ المباشرة في التوجه ولكن الظروف الموضوعية التي يمر بها فنانو الضفة وخاصة تحت الاحتلال الاسرائيلي تعطيهم الحق في ذلك .

وعند المغني لا ينطبق الأمر على كل لوحاته ولكن هناك لوحات مثل «استمرار» و «تغريدة» .



(اللوحة ـ تغريدة)

واستعمال الخط في لوحة «تغريده تجري» لكي يعطي تأثيراً أقوى ، ولكن لا يحتاج المشاهد الى وقت طويل لأخذ انطباع عن اللوحة . فالجملة «لولا احتراق الغصن ما ولد اللهيب من الشجرة» تحول الشاعر الانسانية بصورة تلقائية ومباشرة ، ورسمت هذه اللوحة على أثر استشهاد الفتاة تغريد البطمة برصاص جيش الاحتلال الاسرائيلي . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل تعجز اللوحة كعمل تشكيلي عن ايصال الفكرة الى القارىء مما يجعل الرسام يستعمل الكتابة (التوضيح لتلك الفكرة) ؟ وايضاً هل لا يكفي هذا بحيث يلجأ الرسام الى تشكيل الكتابة نفسها تشكيلاً خاصاً له دلالاته وايحاءاته امثل الشموع في كلمة تماثيلا في لوحة «تماثيلا» ، ونحن ما كنا نتعرض لهذه المسألة لولا إشارتنا السابقة الى كون بعض اعمال الفنانين الفلسطينيين اقرب الى الملصق السياسي منها الى اللوحة الفنية ، ومثل هذا بحاجة الى بحث خاص .

(يتبع في العدد القادم)

شكيب جهشان

رسالة الى السيد رونالد ريغن

البلدُ ـ الرامه
الحي الغربي
قرب الجاورز
في اليوم الخامس من تموز
للعام الثاني بعد الذبح
والعام العاشر منذ انوجدت بنت العم يمامه
نازلة القامة
في أعلى السفحْ !!

ـ ١ ـ

يا سيد ريغن
يا سوط الرعب القاتل والتدجين
كل التاريخ وما كلت
يداك اللائى
بالموت وبالطاعون !!

*

يا ملك البرْ
وملك البحر
وملك القهر
حرِّك منظارك فوق بقاع الأرض جميعاً
ازرع مرساتك في الميناء الأول
والميناء الثاني
والميناء الألف
يا زمن الخوفْ !!!
يا ملك القهر
وملك القَهْر
لا بُدَّ سيرجع يوماً
الزمنُ القشاميّ
يا هوشي مِنْ
هبّي من نبضك بعض النبضْ
هبي من فيضك بعض الفيض

ـ ٢ ـ

طلع الدولار
نزل الدولار
واخي بشار
تأكله النار
والشيخ الثائر ايبندي
يحصده رشاش غدار
والشرق الأوسط واخجلي
تخنقه حلقات الزارْ !!

ـ ٣ ـ

ـ يا شيخ الزيت
وشيخ الزفت
وشيخ الصحراء القيحاء !!!

ـ لبيك
لبيك
يا سيد هذا العالم من أجيال
من أجيال
يا سيد ريغن، يا
بطل الأبطال !!!

*

ـ يا شيخ الزيت
وشيخ الزفت
وشيخ الصحراء القيحاء !!

ـ لبيك
لبيك
يا حاكم أكبر دوله
يا حاكم أقدر دوله
لبيك
لبيك
بعض فتاتْ
بعض فتاتْ
من جور يديكْ

ـ قيتو، قيتو !!!

- لبيك
لبيك
عبدك ما بين يديك !!

●

- يا «مير» اللؤلؤ والمرجانْ
يا «مير» الشاطىء والخلجانْ

- صنع يديك
لبيك، لبيكْ
بعض فتاتِ
من جود يديكْ

- فيتو، فيتو، فيتو
- لبيك
لبيك
عبدك ما بين يديكْ !!

- ٤ -

من عقدينْ
أقلع مسعودُ الفالح نحو الغربْ
من عقدينْ
أقلع مسعود الفالح نحو الغرب وقالْ :
- تستل العلم ولو من فك الذئبْ
مسعود الفالح كانْ
أذكى من عرفت هلي القريةُ من شبانْ
من عقدينْ
وصل المكتوبُ الأولْ
وصل الثاني
فبكت أمُّه
وبكت أختُهُ
جارات العينْ

●

وتمرُّ تمرُّ الأيامْ،
والصمت ظلامْ
ويكي الخلانْ

ويكي الجيرانْ
مسعودٌ كانْ
أحلى الشبانْ

●

الصمت ظلامْ
والناس كلامْ
البعض يقول :
مسعودُ الفالحْ
يعمل جنرالاً في الأسطولْ
لا يذكر طعم الباذنجان
أو طعم الفولْ

●

والبعض يقول :
مسعود الفالح
قتلته عصبةُ «مقباء»
بعد مهمَّهْ
نوحي يا امُّه

●

والبعض يقول :
مسعود الفالح حيٌّ يرزقْ
يعمل جاسوسا
في احدى دول الشرق الأوسطْ
يا خيبة أملك يا مسعودْ
يا خيبة شعبك يا مسعودْ !!

●

والبعض يقول :
مسعودٌ يحيا في نيويوركْ
في حيِّ المسحوقينْ
يعيش الجوعْ
يعيش الرعب، يعيش الظلم
يعيش الشك
ويفتش عن كسرات الخبزْ
في فضلاتِ المحظوظين !!

●

يا مسعود الفالح
يا عود الزانْ
كل كنوز الأرض
وكل علوم الأرض
لا تسوى حبة ترب واحدة
من ترية الأوطانْ !!!

- ٥ -

يا حاكم أكبر دولة
يا سيد أقدر دولة.. !!
في بيروت
شيخ في عمرك
يقضي ساعاتِ اليوم
يدور، يلف
يلف، يدورْ
في فسحة بضعة أمتارْ
شيخ في عمرك
يا سيد أكبر دولة
يدور، يلف
يطمئنه الخوف
يبحث في الفسحة في اصرار
عن أولاده
عن أحفاده
يبحث عن دار كانتْ
في رأس الشارع من ساعاتْ
ويردد بعض الكلمات
عكا
أولادي
والجاره
الدبابات
الجرافاتْ
والطياره
يا أولادي
يا أكبادي

يا أولادي
يا أكبادي !!!
ويظل يلوب، يلوبُ، يلوبْ
حتى ينهار
يا صبرك يا أيوب
يا صبرك يا أيوبْ !!!

●

وإذا ما مات النورْ
يفغر عبد الجبارْ
والدمعة في عينيهْ
ما ظل لديه
الا بعض الأطمارْ
وخيال الصبية
والديجورْ
وخيال الدارْ !!!

- ٦ -

يا جيفارا
ما زال السجنُ يعج بآلاف الأحرارْ
ما زال السجن يعج بآلاف الأحرار
وما زال السجان يقلع أظفار
الثوارْ !!

●

يا جيفارا
تطفىء نارا
تشعل امريكا نارا
يا جيفارا
لكنا رغم الموت الزاحف من ظلمات البرْ
ومن ظلمات الجوْ
ومن ظلمات البحرْ
مثل غرينادا
يا جيفارا
يا فارس هذا العصرْ
نؤمن بالنصرْ
نؤمن بالنصرْ !!!

ـ ٧ ـ

يا سيد ريغن
كيف القتل
يصير العدلْ
وكيف الظلم
يصير الحلْم
وكيف تصير الطيارات
حمائم سِلْم ؟!

*

يا حاكم أكبر دوله
ماذا لو كان العالمُ ملك يديك
أو طوع يديك
ماذا لو كان
ماذا لو كان ؟!!

*

يا سيد أقدر دوله
شكراً للعمال
وشكراً للأبطال
وشكراً للأحرار
وشكراً للثوار ؟!
يا ملك البحر
وملك البر
وملك القهرْ
لن يتشكل هذا العالم وفق هواكْ
ووفق رضاكْ !!

*

يا سيد ريغن
يا رب البيت الأبيض والدولارْ
ستظل الدارْ
لأهل الدارْ
ويظل الوادي للأحجارْ
وتظل الوردة في الأشواكْ
وتظل الأنجم في الأفلاكْ
وتظل الدنيا للأحرارْ
وتظل الدنيا للأحرارْ

(الرابطة)

عيسى لوباني

حينما تستيقظُ الصُّور !!

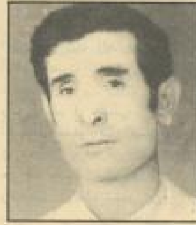
أنظُرُ في عينيكِ ،
أحدّق ، أبحث ،
أقرُبُ ، أهربُ ،
بلهفةِ شلال ،
أصرخ ، أستجدي أين الهربُ !!
أرجوكِ :
إذا التأم المحيطُ الأزرقُ ،
والأخضرُ
وتقاطع دربانا ، واخضرّت
دالية ، وقطفي حسون
في عينيك ، يعالجُ أعوامَ
الجوع ، وأغلال الحارس
في ساحات مدينتنا
أرجوكِ ، فلا غالبٌ أو مغلوبُ
قدروني مذ كنتُ ، وكُنتِ ،
خطوط تتسحّبُ ، تبحث عنكِ ،
تشدك للقمم الشكل !
وحكاياتي ، وصباباتي همٌّ وذنوبُ !!
هل كنتُ صغيرا
هل كنتِ صغيرة
قطرةَ طلٍّ تهدُرُ في صهدي ،
فستانا هجيا ،
يتوهجُ في جسدي ووشاحاً وضفيره
آه يا ليلى ، القصبُ يجوعُ !!
عيناهُ قلوعُ !!
أصحيحٌ حلمي يتحقّقُ ؟!
في كفي ، يتألقُ !
صُدِقتُ وآمنتُ ،
فجذعُ النخلة ، والقمرُ الضاحكُ ،
والدنيا منذ ثلاثين !!
تتدفقُ !!
يا وجعي ، يا وجعي !!

في أيلول وفي تشرين !!
صدقتُ ، فعيني تذرفُ ،
صوتي يتوهجُ في اللون اللحظة ،
أولدُ طفلاً ،
أبحرُ حول الكرة الأرضيّة
شوقا وحنين
عيناكِ شراعان ، وصوتُك
ينبعث من أعماق الذكرى
أصدّق !!
كيف ؟ متى ؟ ولماذا ؟
تتحققُ أحلامي ، آه ، من
نزوات العمر التشرينيه !!
وأعودُ أحدّق في عينيك ،
وأنظرُ مشدوها ،
للأطراف الذهبيه !!
وجديلتك النشوى ،
ترقصُ عُرساً ، آه ،
يا وجعي من طعنة سكين ،
عاجيّة !!
أتذكّرُ ، يا حبي أذكرُ ،
تسألني عيناكِ ، متى ؟
وأرى الخوف ، يدبُّ !!
لماذا ؟
أنا أول من داعب حُلمك ،
تحت ظلال الكرمة دوريا ،
يلحق دوريّة
كان يزورك كل صباح ،
ويدور حواليك ، لماذا ؟
أتخافين الحبَّ ؟
أنا أحببتكِ ، مذ كنتِ صغيرةً !!
لكنكِ كنتِ أميره !!
وأنا إنسانٌ ، يكتب شعراً ،
ومراراً أكتبُ نثراً !!
في بلدٍ باع ضميره
فرحتنا ،
أنا لا أعرفُ كيف
ولكنَّ خيوطي ودروبي كانت دوماً ،
تبحث عنك
أغريبٌ وغريبه
في بلد السّمنْ
والسّلوى والمنّ
في مهد الأديان وأرض الاسراء ،
ومهبط أشواق البشريّة
للحُريّة !!
أتشبث بالمحيط الأزرق ،
بشلال العشق الأخضر ،
من قمم الجرمق حتى الكرمل ،
حتى سيناء ، وسيناء المنسيّة !!
أتحلّى العشقَ !!
رحلت ، رحلت كما يرحلُ
صوتي ، حمل الدنيا في عينيه ،
وجاع وصام ، ولم يشبع يوماً
آه ، يا وجع الصوتِ ،
لتَهِم الشمس ، بدفئي
ألقاه في عينيك ،
أحسُّ الطعنةَ في خاصرتي
جُرحي حيٌّ
أبكي . لا أبكي

أنظر بين يديك وليداً ،
أمتصّ الصوت الهامس في
شفتيكِ
ويزال يلهو في عطشي ،
أتحب !! أتعشقني هذا العشق !!
في عصر لا يعرف غير المقت !!
هل هذا وقتُ الأسئلة الوُدية !!
وضحكت ، وكفك تنشلني من
مقبرة الماضي ، مقبرة الماضي
الوحشيه !
صوتك ، صوتي ،
ذابا في شوق اللحظة ،
دعني ، لا تقلق صمتي ،
أخشاك وأخشى نسمة صيفٍ
تبعثني ، هل تذكرُ ، تلك الأمسيه
أذكرُ ، أذكرُ ،
لا أذكرُ !!
أنا ابن اللحظة ابن الحاضرْ
وغداً ، ألقاك مروجا وجداول !!
قبّرة ، تتمرغُ في حقل القمحْ
رحل الليلُ
رحل الشبح
أنظرُ ، آه ، أنظرُ
لا أشبعُ !!
أشرعتي ، والبحرُ الواسعُ ،
بعلي ، من ينقلني من حبك ،
وامتدت كفاك ،
تعبث ، تعبث ،
واستيقظ ، ما كان يكون ، وكُنْ !!
آه ، هل يشبع جُوعٌ ،
من قال ، كفي !!
رومانسيٌّ ، يحلم ، يرسُمُ فوق
الماء ، وشاعر
كفك في كفي
لا ترتعشي !!
صدقتَ قارئة الكف
وفناجين القهوة ،
قالت : حظك مثل الشمسِ !!
لا يعشقُ ، لا يعشقُ
إلا الشمسَ !!
حظك ، حظ الشمس
تغربُ ثم تعودُ لتشرق
وجهاً يغسله شوق أبدي ،
مثل الأمس ، وقبل الأمسْ !!
حظك !!
أن تعطي مثل عطاء الشمسْ !!
في زمن موبوءٍ ،
غابت منذ قرونٍ عنه الشمس !!
حظك ، والتمعت عيناها ،
تاهت !! لم ابتسمت !!
أن تبحر في بحرٍ ، دون شراع ،
وجراحك تنزف طلاً ورحيقا ،
وخطاك ، وعيناك ، تدقان
جبين الشمسْ !!
حظك ، يا ولدي !!
أن تتجدد كل صباح ،
مثل الشمسْ !! مثل الشمسْ !!

(الناصرة)

عمر حمودة الزعبي



قصـــة شادي

شادي ، المتولد من بؤر البؤس
ومن رحم الحرمان
من أم كبرت في الغربة
وأب يقتلع اللقمة من حقل الأحزان
لم يرضع ثدي الذل ، ولم يبتلع خبز هوان

●●●●

شادي ، موجود في كل مكان
في القدس وفي بغداد ودمشق ،
وفي لبنان
في مسقط هو ، في يثرب في عمان
قد كان ، ولا زال ، ويبقى
أبد الدهر وأماد الازمان
جذراً منزرعاً في التربة
وطاة تشد للاوطان
وسياطاً تصفع وجه الحقد ، وأصحاب التيجان

شادي يا موسم فرحة أمك
يا قرة عين الجد وأفراح الجدة
يا قمرة ليل أبيك
ويا فرج الشدّة
من ذا ينجيك !
وكيف خلاصك من همك !
من ذا
وطيور الفولاذ تزمجر في الأجواء

وتبيل قنابلها العنقودية
ورؤوس رؤوس الامة عُشْ لهباء
ومغاور أحلام قبلية
والموت حناجر تفتك بالأحياء
وسمودك عدّة
فحذار حذار
أعداؤك أحلاف بني عمك ،
شادي ، والصمتُ ، واكوامُ الحارة
شادي ، قد ثكل الام وكل الاهل وكل الجيران
لم تبق الغارة ظلاً لعمارة.

●●●

وتناءب شادي تحت الردم ،
الجوع ، وأيام الوحدة ، والليل الداجي
لم تقتل شادي ،
ليظل هو العنوان
شادي ذو الرجل الفردة
من كل الأهل هو الناجي

شادي ، لم يحبُ ، ولن يمشي ،
لن يلعب شادي كالأطفال
لن يمرح شادي كالفتيان
شادي ذو الرجل الفردة
يتندر ، يروي للأقران ،
الرجل الأخرى ؟
قضمتها أنياب الوحش
وقطعان الردة
في ليل الأهوالْ
ويظل جبيني عالٍ عالْ

●●●●

شادي ... قد أصبح أسطورة
قد أصبح ليثاً دون بلوغ
يستأسد في وجه الطغيان

يا هالة فخر ، بالمجد محوطة
للرأس الشامخ أحفورة ، يا بطلاً يبصق في وجه الكلب المتعفن في الغوطة
يا رهطاً يدفع بالعكاز
آلات الفتك وأسراب الغربان
لا غرو ،
فالك من شعب الأعجاز
من شعب لم ينس جذوره
لا بد للفجر الحق يُبزغ
شادي ، لم يبك كما يبكي الاطفال
لم يندب أماً في صبرا
لم يندب أترابا سحقتهم دبابة
لم يذرف دمعة حزن كالجمرة حرى
هاشادي
يتذر للحق شبابه
ويربي للثورة جيلا
في صبرا وشاتيلا
والميه وميه
شادي ... أستاذاً ليربي الأشبال
شادي الانجيل ، وآيات القرآن
موجودٌ بعمر كل مكان
شادي ... يا أعذب صوت أذان
يا رجع تراتيم الرهبان
شادي !
يا أحمد من عدنان
ويسوع الناصرة الانسان
قم شادي
قم واجهر قيلا
أنا حيٌ ، رغم الهوجة في عمان
أنا أبي
والعودة حق رغم الحاقد .. والبطران

(الناصرة)

من مجموعة شعرية لعنوان «قصة شادي والاطفال» يجري اعدادها للطبع

نبيل الجولاني

لا فرق بين عربي وعربي الا بالثورة

في ظلمات القهر
ولدنا
في ظلمات القهر
ولكن، لا بدّ
سيدحر جيش النور الظلمات
و .....
فسرج للايام السود العمر
نعرى... نشقى... نمشي فوق الجمر
نرفع فوق الرأس الرايات

●●●

يتوهج في اعيننا الحلمُ
كضوء البدر
والبسمة ما ماتت في زمن الكفر
برغم المأساة

●●●

اللقمة ...
حتى اللقمة صارت مشكلة العصر
وخارطة الاوطان الشكل
ترسم فوق النهد .. وفوق الخصر
والعزم الثاقب فينا ما مات

●●●

موائد سادات الردة حبلى بالخمر
وكلابهم تطعم ما يكفينا طول الشهر
ويحلون قضايانا في على
إزار الحسناوات

●●●

لا ريبٌ في الثورة، لا بدّ
أن اشهر حبي
سيفي
قلمي
جسدي
فالدرب تعاليمُ صلاة

●●●

الرشاش ..
دموس الاطفال
والقمر المصلوب على الشباك
دمانا .. والشهداء
من النهر الى البحر
شعار لا يعلوه شعارات

●●●

ما زالت تنمو في قلب الثورة جنات
والكرمل ما زال
والقدس
تؤذن فوق السور الارهاصات

●●●

ما زلنا نغتسل برشات الطهر

ما زلنا نتكوّن في مهد العمر
لكنا نحفر للطاغوت قبوراً
ونضيف الى قرآن الثورة آيات

●●●

نسكب فوق الأرض العطشى القطر
ليصير رغيف الخبز مشاعا
مثل مياه النهر
نحن القافلة الحمراء
بزنود سمر
نحمل امر النظريات

●●●

نبني المجد على عظم الصدر
نسقي الثورة من دمنا
حتى آخر لحظة
من لحظات العمر
نحفرها فوق الصخر
نداً عروش الرجعيات

●●●

نحن السيل المتدفق دحراً للغدر
ولا شيء يوقف مد البحر
لا شيء
يغلق باب الحريات

(الضفة الغربية المحتلة)

يوسف حامد

في الوصول الى اللقاء ..

إنها الأمنياتُ
البحر مرتعش
على أهدابها
والليل يعوي
خوفًا
والقلبُ يدمع

●●

آه من الجرح
المدمر
في تواقدنا
التي
طليت بأسود
آه من الموت
الذي بجناحه
يندس في أحداقنا
آه
على الأمنيات
التي
طاردتني
آه على أمي
التي
قبيل اللقاء
أرقعتني

●●

أنا لم أزل
يا أم أهتف للقاء
قسماً بقبضتك العظيمة
إني سأبقى للقاء

●●

إنها الأمنيات ..
سقطت بعيداً
في دمي
قالت تحديها
وما تركت
على أبوابها الخوف
قالت تحديها
وماج البحر
في أحزانها
قتلت كثيراً من جحافلهم
وأعلنت الزفاف

●●

أيها الأمنيات ..
سقطت مدافعهم
بعيداً
سقطت
لتدخل
في اللقاء
كانت
والبحر تسافر
كانت
كأن الحصار
لدمي
وجهاً آخر
كانت
بعضاً من دخان
يشبه الحلم
بيني وبين أصابعي
في البحر
كان أمامي وجهها
يلاحقني
لتسقط في الطريق
كان مثلي
مثقلاً بالسطور التي
توارثت حبرها
عن غيوم
حارقة
سقط النهار بها اليّ
وأنا ،
على أطرافها
ابتعدت قليلاً
لداخلي
كانت
كأنها الحصار
تكتب الحرب
وصدفة
تمضي في دمي ،
وعلى أبوابها قلتُ :
لي دم آخر
لي على الرصيف
ألف سيف
ومنها
سحر القافلة
لي شاطيء
وبحر
وأهلي تباعدوا
صمت ..
وتنفجر القنبلة ■

(الضفة الغربية المحتلة)

محمد شريم

قصيدة مقدسية

يبت الطريق وقد كثرت كذابا
وجدت بحري في اليقين سرابا
فتابت شمعي بعد طغيان الدجى
وهمت في الليل الرهيب خطابا
وسألت عن قدس تمر بخاطري
مر الحياة بهجة تتصابى
فرأيت شمعي خاشعاً متصدعاً
يبكي الزمان ولا يرد جوابا
فشعلت من حزن كغمر عاشق
لفقد المحب فليس بعد خبابا
وغدرت عند الصبح أجمع فوق
كيمامة خرجت تروم إيابا
حتى دخلت القدس أقرأ وجهها
فقرأت من سور الهموم كتابا
ونظرت للشمس الرقيقة فاحصاً
وكشفت عن بصري الحديد حجابا
فإذا الغيوم تجمعت من دونها
وتكاد تخفي في السماء غيابا
فنظمت شعراً من سواد غيومها
ورسمت بالحرف الأسير عتابا
يا صاح عفوك هل سمعت أنينها
يطوي إلى العرب الكرام هضابا
ورأيت مثلي في الحقول مسيحها
يخشى إذا انسحب الأصيل ذئابا
يطلو المنقع في معابدها التي
تطلي الزمان تعجباً وعتابا
هذي الكنائس في المدينة تنطوي
تحت الضياء بجوفهن ولهابا
يدميك في الأقصى قيام محمد
يرنو المساجد زوراً وقبابا
يا صاح قد وصل الأنين إليهمُ
لكن صوت القدس ليس مجابا
لعواصم الوطن الكبير تجمدت
تحت الجليد ولا تطيق عبابا
وشهامة العرب الأصيلة صدرت
وغدا تذكرها السليم كذابا
باريسُ قبلتهم وضرْ غرورها
ركبوا إليها لجة وعُبابا
ولندن الكبرى أعادوا مجدهم
ساسوا بها بين الجنان عرابا
لا تقنطي يا قدس إنك ههنا
في القلب منا شيّباً وشبابا
ينساب حبك سائغاً بعروقنا
ولبوس أرضك زهرةً وترابا
تعطيك ما تعطي الزنابق زهرها
وإليك تهدي أنفساً ورقابا
ليكون وجهك مشرقياً مشرقاً
ويريق عبنك بهجة وشهابا
ويعيش ثغرك باسماً متلألئاً
ريان يسكب حبه وعتابه

(الضفة الغربية المحتلة)

سعدي يوسف

خمس قصائد غير متحمسة

نبتٌ متسلق

بعد عام، او اثنين، أبلغُ اعلى السياج
انها الأرض
تدفعني من عروقي لأبلغ أعلى السياج
وهي الشمس
تختار طاولة
ثم تجلسني كي تقدم لي كأسها طافحاً بالهياجْ
والهواءُ الذي يتخللني
صار يحنو بي
وانا اقطع الخطوات الأخيرة
نحو اعالي السياج..
ربما بعد عام، او اثنين..
لكن طيراً بنى عشه تحت إبطي يسائلني :
هل ستمضي مع الخطوات الأخيرة
كي تنهزق، مخترقاً، دامياً بكسير الزجاج ؟
كيف امسك نفسي، اذن ؟
انها الأرض
والشمس
والريح
ترفعني، هكذا، نحو أعلى السياجْ

١٩٨٥/٥/١١

زهرةٌ بوقيةٌ

تتفتح الزهرة
لا بأس أن ترسم أشكالاً على الساحة
أو تسلم للرفرفة الروح.
هواءٌ نائم في زهرة بوقية ايقظنا اليوم..
فمن يوقظنا إن نامت الزهرة ؟

١٩٨٥/٥/١٦

استعادة

في قميصي المخطط :
مقهىً على البحر
كرسيها الخيزران
وأهدابُها عبر كأس النبيذ
فلي أي خيطٍ أناملها
أي كم يجيء، كالمزهرية، لحظتها النافرة ؟
أي نبضٍ تناهت به
اي مقهى بعيد
واي قناني النبيذ ؟

١٩٨٥/١/١٥

بار جبهة النهر

آخر بارات البحارة كان
باراً من خشب صلد ومعادن براقة
كان يطل على السفن البحرية في النهر
يطل على السفن النهرية في البحر
وآخر بارات البصرة كان
في قصر غادرهُ نبلاءُ النخل
الى اشجار النسب الأولى في الصحراء

●

كان وحيداً في عزلته

مكتفياً بالخشب الصلد وباب القصر المفتوح
مكتفياً بروائحه
ملتفاً حول بهاء الروح
والاشجار الهندية والمعمار المجروح

●

آخر بارات البحار كان
وأول اغصان الروح
فيه ابتجنا اسماء مرافيء
ولبسنا أرصفة
وتعلمنا صفة :
ان نشعل في أفق مفتوح..

١٩٨٤/٩/٨

موت بحار

السرير الذي ما تمدد فيه سوى قبل يومين..
ضاع
تحت هذا الغطاء ـ الشراع
السرير الذي ما تمدد فيه سوى قبل يومين..
أرهف حد الوداع.

....

....

بعد بضع دقائق يأتون
تدنو ممرضة
ثم يأتي رجال
(عرائسه في الجروف العصية غادرته)
ويرفع، في لمحة البرق، هذا الغطاء ـ الشراع
برهة..
(خفق اجنحة)
ثم يرحل هذا السرير الذي ما تمدد فيه سوى قبل يومين
يرحل
منطوياً
كالشراع.

١٩٨٤/٩/٧

قصة قصيرة

مُخـرِّب آخر ...



بقلم : حسين مهنّا

□ قصفُ المدافع المتواتر يدلُّ على أن هنالك مهمة يجب أن تتم .. أن تنتهي بسرعة ، وبأقل ما يمكن من الخسائر البشرية والمادية .. أو على الأصح المادية أولاً ثم .. ثم البشرية فبنو آدم في نظر العسكريين المغامرين أرقام لا أكثر ولا أقل .. ولا يهم من مات ومن قد يموت .. المهم تنفيذ الخطة المطروحة على الطاولة في غرفة العمليات الحربية .. والمهمة الآن لن تكون أكثر من عدة ساعات وعدة كيلومترات . هكذا وعدت القيادة ، أو بالكثير الكثير عدة أيام ، فينتصر من ينتصر ويُسحق من لا بد من أن يُسحق !! وتُحل عقدة السلام في الشرق الأوسط .

وحركة الطائرات من الإف ١٥ وبازل لا تقل نشاطاً وخطورة عن حركة الآليات المصفحة والدبابات .. وماذا يفعل الأطفال والعصافير في مثل هذه الحال سوى التقهقر والاختباء !! ليس في أحضان الأمومة الدافئة هذه المرة . إنها الحرب !!

ذاك اليوم تمسّكت «رابحة» بزوجها تريده أن لا يبرح البيت خوفاً عليه ـ إذ يكفيه ما يحسه من ندوب إن دلّت على شيء فهي تدل على بسالته وإقدامه .. كان آخرها عملية مقاومة شاقة .. خرج منها بعاهة أقعدته في البيت .. ليس استغناءً عن خدماته ولكن احتراماً وتقديراً .. وقعدة البيت علمته فنون الحياة الأخرى .. منها الجلوس على شاطىء صور يتلهى بصيد السمك .. والتحديق طويلاً طويلاً بأمواج البحر التي لا تنفك تضرب الشاطىء بحركتها الأزلية دون تعب أو ملل .. وكثيراً ما سأل نفسه ترى من أين تأتي كل هذه الأمواج ؟! وهل يعقل أن تكون قادمة من عكا مثلاً ؟! ولِمَ لا تكون كذلك ؟ وهل هي قادمة من أجله هو ... تحمل له شيئاً ما .. علبة فارغة أو حتى عود ثقاب مستهلك من .. من عكا ! آه .. يا لقسوة الطغاة .. إنه لا يزال يذكر كيف كان يجلس بجانب والده على رمال عكا ولا يعودان إلى البيت قبل أن يملأ السلة سمكاً لذيذاً .. ولعله ألذ سمك في الدنيا .. كان والده رجلاً وقوراً جاداً .. كان يقول له دائماً : أحب البحر يا بني وتعلّم صيد السمك .. انه المتعة واللقمة .. اللقمة المغموسة بعز اللقمة .. واحفظها حكمة صينية يا ولدي : من أعطاك سمكة كفل لك قوت يوم ومن علمك صيد السمك فقد كفل لك قوتاً مدى الحياة .

- حسّان !! وين رايح ؟! القيامة قايمة ؟!
صرخت (رابحة) في وجه زوجها وهو يغادر البيت .. أقصد (البرّاكية) التي أصبحت بيتهما في المخيم بعد «المجيء» .
وكعادته .. نظر إليها تلك النظرة الحانية التي تحمل كل معاني الحب والحنان والاحترام للزوجة العاقلة الصابرة على اللقمة المُرّة قبل الحلوة .
- ولو يا رابحة ! خايفة !! يوم اللي كنت أخرج الخرجات إياها ما خفتي ؟! خلّي بالك من الأولاد ومن نفسك .. بخاطرك !!

*

هزّ الشاطىء صوت قذيفة قريبة .. فالتفت حسان حوله وبسمة ضالة تعلو وجهه الأسمر المليح .
- من يدري ! قد نجلس على شاطىء آخر أكثر بُعداً إلى الشمال !
عكا كانت البداية ولكن أين ستكون النهاية ؟! وما الفرق ؟! من بعدك يا عكا لا يهم ، كل البلاد عندنا محطات ، محطات لا أكثر .
إضرب أيها الموج .. إضرب لعلّي أرى فيك موج عكا أو لعلك تغيّر خارطة هذا الشرق !! سنوات طويلة ثقيلة تمر ولا شيء يتغير .. سنوات عجاف تتلاحق ونحن في طوابير ثابتة من الصباح وحتى غروب الشمس .. لقد سمعنا جميع أنواع (الكوماندات) سمعنا (مكانك قف) وتعودنا على (خلفاً در) !! (كوماندا) واحدة لم نسمعها !! أو ... لو نسمعها مرة واحدة ثم نموت بعدها !! (إلى الأمام سر !!) متى .. متى ؟! .. متى ؟! ..
- إرفع إيديك !! عربي !!
صوت جاء من الخلف بلغة عربية ركيكة .

- يا للسخرية !! مكتوب علينا أن نسمع الكلام نفسه والصوت اللعين نفسه !! لقد سمعته في عكا .. وماذا كانت النتيجة ؟! سرقوا مني شاطىء عكا وفرح طفولتي .. كبرت فجأة .. شخت .. أصبحت شيخاً في السابعة من عمري !!
لا .. لا .. لا يمكن أن تكون الحياة بهذا الشكل اليائس .. بهذا الروتين .. حتى التمثيليات تتنوّع حبكاتها وتختلف نهاياتها !!
وقاده الجنود مكبّل اليدين نحو تلة نائية حيث ضربوا هنالك معسكرهم تحت زرقة سماء لبنان ونجمة داود !!
وانتهره الشاويش بصوت كريه نتن :
- ما إسمك ؟!

نظر حسان في عينيه .. وللحظة أحس أنه لا يستطيع بل لا يرغب في أن يتفوه ولو بكلمة واحدة .. حالة غريبة من الاشمئزاز اعترته وسيطرت على حواسه .. ولم يجب .. لقد قرر التحدي .. وفكّر !! لعله بصمته هذا يغيظهم فينال منهم أكثر مما قد ينالون منه ؟! ويأتي الصوت ثانية :
- سألتك عن اسمك ، فأجب .
صمت ..
ويتدخل شاويش آخر قائلاً : لا تتعب نفسك معه .. إنهم عنيدون .. كلهم مخربون .. نفّذ التعليمات وفقط !! أعصابك يا حبيبي !!
ويأتي الصوت ثالثة : - أين كنت ؟!
صمت ..
- ماذا كنت تفعل عند الشاطىء ؟!
صمت ..
واهتز الشاويش غضباً : هذا المخرب اللعين لا يأتي إلا بـ ...... لِمَ لا تجيب ؟! قالها واتبعها بصفعة قوية هبطت على خد حسان !!! آه .. الصفعة الأولى .. آخ لم يصفعني والدي صغيراً وها الشقي يفعلها وقد يكررها حتى آخر العمر .. ويعاوده الصوت من جديد :
- هل أنت متزوج ؟!
ويتدخل الشاويش الآخر ساخراً :
- ما هذا السؤال السخيف ؟! عربي ولا يتزوج ؟! وهل يعرفون غيرها ؟! ألم تسمع ؟ انهم يتزوجون أربع نساء دفعة واحدة .. بالطبع انه متزوج وعنده أولاد كثيرون .. مخربون قذرون .. انهم كالفئران يتجون وينجبون ولا يكتفون ...!!!
وخُيّل لحسان أن دموعاً ساخنة تسقط في قلبه المتراخي في صدره .. آه .. يا ذلّ يعرب !! أحبائي فلذات كبدي .. نوال وسعدية وعلي ومصطفى وإنصاف وخالد .. فئران كريهة في نظر الشاويش المعبّأ حقداً وكراهية !! وأحس بأنه يريد أن يصرخ بأعلى صوت ليُخرج كل أحزانه المتراكمة في صدره ، يا أمّة لا إله إلا الله !! يا عرب !! يا بشر !!
ويجيء الصوت :

- هل أنت متزوج ؟ أجب ..
صمت ..
- هل زوجتك جميلة ؟!
آه !! رابحة !! يا شقيقة الروح يا نسمة نديّة في قيظ أيامي .. يا جرعة ماء وقت العطش واللقمة وقت الجوع والكسوة وقت العري .. قد أراك ثانية وقد لا أراك ؟! الأولاد أمانة .. الأولاد أمانة غالية يا رابحة !!
ويأتي الصوت :
- هل زوجتك جميلة ؟! ها !! قل !! وصفعة على خده .
وحقيقة أن حسان لا يدري أكانت تلك الصفعة الثانية أم الثالثة بعد المئة .. لا شك في أن هذا المخلوق يشن عليه حرباً نفسية قذرة .. انه يذكّره بزوجته وبالأولاد .. تماماً كمن يرش الملح على الجراح المفتوحة .. يريده أن يضعف .. أن ينهار .. ولكن .. لا .. لا ..
ويعود الصوت ليخرم طبلة الأذن :
- قل ! هل زوجتك جميلة ؟! كم مرة تضاجعها في اليوم ؟! ها ! ماذا تفعل لها ؟!
آخ !! حسان يختنق .. يكاد يجن .. أف من هذا القرف المتجسد أمامه على هيئة انسان !! هذا العسكري الفظيع !! لا .. لا .. إنها ليست لعبة الحرب النفسية !! انها أكبر من ذلك بكثير .. انها مشكلتهم جميعاً .. انها معاناتهم الأبدية !! أجل !! عقدة الأقلية !! انهم لا يحتقرون العربي بسبب شهوته الجنسية الحاضرة دائماً .. بل يحسدونه عليها .. هذه الذكورة المارده .. سر البقاء !! عندهم .
ويعود الصوت :
- ها !! قل لنا ماذا تفعلان في الفراش ؟!
يا للشناعة !! هل يصرخ .. هل يشتم ؟! هل يكفر ؟! ولكن ما جدوى كل ذلك ؟!.
إخ تفو ...!!! بصقة كالقذيفة انطلقت من فم حسان لتستقر على جبهة الشاويش المحقق .. رفع الآخر بندقيته نحو حسان يبغي قتله .. ولكن بعض الجنود الذين لم تعجبهم اللعبة من البداية .. أو هكذا خيل لحسان .. حالوا دون ذلك ..
ان وقفة الجنود هذه أعطته بصيص أمل .. وقد ينتهي اليوم على خير !! وقد رشّحت إيمانه بما حفظه عن والده .. إذ قال له مرة : ـ يا بني الدنيا مثل البستان فيها الورد وفيها العُلّيق .. والناس أجناس فيهم المليح وفيهم القبيح ؟!
وفي هذه الأثناء أقبلت سيارة جيب من بعيد .. إنها سيارة القائد الكبير .. تهامس الجند .. نزل من السيارة وسار بخيلاء .. أدى الشاويش التحية العسكرية ثم سرد عليه ما كان من أمر هذا المخرّب المقيد .. الذي لا يريد أن يتكلم .. نظر القائد إلى حسان شزراً وقال مخاطباً أنت تحب أن تعرف ما يجري في رأسه ؟ هه !! تعلم أيها الأحمق ! إذا أردت أن تعرف ما يوجد في رأس العربي .. إفلقه !!
واقترب من حسان وسحب مسدسه المحشو بالرصاص والحقد .. سدده نحو رأسه و .. و .. وأطلق الرصاص □□

(البقيعة)



قصة قصيرة

البشــــع

بقلم : جمال بنوره

- أي ميتة ترغب فيها ؟
من بين براثن الموت رفع السجين رأسه .. وبكل ما أوتي من قوة واهنة ، صرخ في وجه جلاده :
- سوف .. أراك .. تموت .. قبل أن .. تميتني .. !!
همس له معاونه :
- انه يهذي .. لا يعرف ماذا يقول .. !
ثم أضاف مفكراً :
- أعتقد أنه في حالة النزع .. لا تستطيع الاستمرار .. إلا اذا أردت أن يموت بين أيدينا .. !

***

تذكر رسالة التوبيخ التي استلمها قبل فترة وجيزة لأنه لم يستطع أن يخرج بنتيجة معه حتى الآن .. كان سجناؤه يتحطمون تحت ضرباته ، ويزحفون هلعاً أمامه .. أما اليوم فهو الذي يزحف غضباً وحنقاً أمام سجينه .. لقد أحضروه له بعد أن فشلوا معه .. لقد أعجزه .. وجعله يشعر باليأس .. وأنه هو سجينه .. فهو لم يستطع ـ رغم العذاب ـ أن يزحزحه عن موقفه .. لقد أشرف على الموت أكثر من مرة .. ولكنه كان يعيش .
«انه يعيش ليعذبني أنا جلاده .. لقد أصبحت أخاف نظرة عينيه» .

***

التفت الى معاونه :
- هل تعتقد .. أنه سيموت .. ؟
حط الآخر شفتيه ، ووسع حدقتي عينيه وهو ينظر الى السجين ثم سأل :
- هل نسعفه ؟!
لم يرد .

***

كان يفكر أن شبحاً آخر من الأشباح الذين يعذبهم سوف يزوره في الليل .. انهم ومن خلال العذاب الذي يعيشونه ، يقهقهون في وجهه .. ويمدون له ألسنتهم كأنما يهزأون منه .

طرد الفكرة من رأسه .. انه لا يخاف الأشباح .. رغم ذلك فهي تزوره كل ليلة .. وتؤرق نومه ..

●●●

نظر الى السجين ، وعلى زاوية فمه الملوث بالدماء ارتسم شبح ابتسامة باهتة .. تراجع وهو يحس بالخوف والضعف .. وارتمى على كرسيه خائراً .. كأن قوته انسلت من جسده .

●●●

لقد أتقن القيام بعمله دائماً ، مما جعله يحوز رضى رؤسائه .. كان قوياً وعنيفاً وقاسياً . لقد حطم اناساً كثيرين .. وكسر شوكتهم ..
وهو عندما يبدأ عمله ، تصيبه حالة من الاهتياج والشبق .. ولا يستطيع أن يتوقف حتى ينال ما يريد .. ولا تهدأ نفسه الا بعد أن ينفث هياجه .
حطم أحد السجناء مرة .. ومضى الى مكتبه شبقاً .
انتبه لوجود السكرتيرة في الغرفة المجاورة .. ألقى عليها نظرة وحشية .. وأشار اليها أن تتبعه .
تهالك على مقعده وهو يلهث مثل ثور :
وقفت عند الباب تنتظر .. أشار اليها أن تقترب .. وقفت الى جانبه .. أخافتها نظراته .. أمسك يدها بعنف .. ثم تحتواها بين ذراعيه .. ابتسمت ابتسامة خفيفة متوجعة .. وقد خالجها .. شعور فريسة على وشك أن تلتهم .. كانت تتغاضى عن مغازلاته في بعض الأحيان .. بل أنها كانت تسعى لارضائه .. ولكنه لم يتماد مثل هذه المرة .. انه يحطم أضلاعها وهي تكتشف في ملامحه بشاعة لم ترها من قبل .
وأخذ يقبلها بنهم .. حاولت التملص منه :
ـ ألا يمكنك أن تفعل ذلك برقة أكثر ؟!
ـ لا أستطيع .
حاول ان يعبث بملابسها .. ولمحت شرراً يتطاير من عينيه .. همست :
ـ ليس هنا .. ليس الآن .. !!
ـ لا أستطيع الانتظار ..
ـ لا تكن وحشاً .. !
لم يتراجع .. خافت الفضيحة .
ـ لا تفعل .. توقف .. !
لم يستجب .. حاول أن ينزع ملابسها بالقوة .. رأت في عينيه نظرة غير انسانية .. ازداد عنفاً .
شعرت بالغضب يجتاحها .
ـ لم أعرفك بهذه البشاعة .. ابتعد .. أنت وحش .. حاولت التملص بكل قوتها .. هجم عليها بعنف .. بدأ يمزق ملابسها .

صرخت بقوة
وانفتح الباب ...

●●●

نقلت الى عمل آخر ..
عنفه رؤساؤه بشدة .. ولكنهم لم يفصلوه .. فقد كانوا بحاجة الى خدماته .

●●●

منذ أسبوع وصلته رسالة توبيخ ثانية .. انه يحرجهم أمام الرأي العام .. المحامي يلح باستمرار لزيارة موكله وكذلك الصليب الأحمر .. ثارت ضجة اعلامية حول وضعه الصحي .. ولم يخرج بنتيجة بعد .. وهم يسألونه متى يمكن زيارة السجن وهو يطلب باستمرار إمهاله وقتاً اضافياً .

●●●

حاول مرة أن يكون لطيفاً معه .. وأراد يستدرجه للاعتراف بدون تعذيب ..
ـ أنقذ نفسك من موت محقق ..!
ابتسم في سخرية .. ولم يرد .
ـ تكلم .. ألا تريد أن تنقذ حياتك ..!
ـ حياتي بين أيديكم .. أنتم تتحملون مسؤولية ما يحدث لي ..!
ـ سوف تموت .. إذا لم تتكلم ..!
ـ سأموت .. اذا كان لا بد من ذلك .. ولكني لن أدعك تفرح بالانتصار علي ..
ـ ماذا ستجني من ذلك !
ـ سيكون لموتي معنى وهدف .. أما حياتك التافهة فهي لا تحمل أي معنى!
وهو يضغط على نواجذه :
ـ سنضيع منك فرصة الحياة ..!
ـ سأظل حياً حتى في موتي .. ولكن حياتك أنت لا شيء .. وعندما تموت لن يبقى منك حتى ولا ذكرى باهتة يحملها لك انسان ..!
صرخ بجنون :
ـ أنت كاذب .. !! أنا لي زوجة تحبني .. وابنة اعلق عليها آمالاً كبيرة .. هي تمثل المستقبل بالنسبة لي .. انها امتداد لحياتي ..
ـ أنت تعرف أنني لا أكذب .. !

●●●

ـ إنك تخيفني .. !!
قالت له ابنته ذات الستة أعوام وكان وجهه مكفهراً .. ومغضناً وآثار التعب والحنق بادية عليه .. بعد جولة خرج منها فاشلاً .. فقد بذل مجهوداً مضنياً .. أكثر مما تحمله السجين .. الذي تخدر جسده .. وفقد وعيه ..

قال وبعاد تتراخيان الى جانبه ..
ـ انني مرهق ..!
ـ هل يتعبك العمل !
ـ نعم .. !
ـ خذني معك مرة .. أريد أن أراك وأنت تعمل !
ارعبه سؤالها .. نظر اليها مشدوها .. قال بغضب :
ـ لا أستطيع .. ربما عندما تكبرين ..!
ـ ما الذي تفعله ..!!
أربعه سؤالها في الارتباك .. هل يقول لها ما هو عمله !! هل يقول لها .. ان عمله .. تعذيب الناس .. وانتزاع الاعترافات منهم .. هل يقول لها انه من دماء الآخرين وعذاباتهم يوفر لها الطعام والكساء والرفاهية .. وانه مضطر لفعل ذلك ليحافظ على أمن الدولة .. !! هل تفهم انه لا يستطيع القيام بغير ذلك وانه مقتنع انه بطريقته الخاصة يخدم مجتمعه !!! هي الطفلة التي تمتلئ جوانحها بمشاعر الحب والعطف .. هي التي تبكي حزناً اذا وقعت دميتها على الأرض .. كيف يكون شعورها اذا رأت انساناً يتحطم .. تحت ضرباته .. أمامها .. !

●●●

لم تعد ابنته تستقبله بذراعين مفتوحين .. وصارت تختفي من وجهه حاول أن يتودد اليها .. قالت :
ـ أنت يا أبي لم تعد كما كنت !
قال بلهجة مشوقة ..!
ـ ماذا تغير في !!!
ـ كنت تبدو جميلاً فيما مضى !
ـ والآن ..!!
ـ لقد أصبحت بشعاً ..!!
ـ كيف !
ـ ولم تعد تبتسم !
حاول أن يبتسم .. أخافتها ابتسامته .. قالت في رعب :
ـ أنت لا تبتسم يا أبي ..!!
ـ ماذا أفعل اذن !!!
ـ أنت تحاول ..
لم تعرف ماذا تقول ..
وركضت هاربة منه ..
نظر في المرآة .. فهاله ما رأى ..
كانت نفسه تنتن ، بمشاعر الحقد والكراهية .. ان بشاعة أعماله تنعكس على وجهه .. لقد نسي كيف يبتسم
وضغط أصابع يده على زاويتي فمه يحاول أن يرسم ابتسامة .. خرجت شوهاء .. زادت من بشاعة وجهه .

انه لم يعد يقوى على الحب .. ولم تعد تنتابه مشاعر الشوق والحنين نحو ابنته .. ولا نحو زوجته .. رغم أن حياته معها نشأت على حب .. اعتقد انه سيعيش معه الى الابد .. ولكن هذا الحب لم يبق منه شيء .. لقد تشوه مثلما تشوهت حياته .. كانت أعمال التعذيب تثير شبقه ويعود الى البيت في حالة هياج ولا يستطيع أن يتمالك نفسه .
قالت زوجته محتجة :
ـ أنت تفعل ذلك بوحشية ..!
ثم تضيف :
ـ لم يعد الحب يعرف طريقه الى قلبك ..؟! أنت تفعل ذلك كأنك تنتقم مني .. !!
ـ ألا يبهجك ذلك !
ـ يبهجني أن تحبني ..!
ـ أنا أحبك .. هكذا ..!
ـ أنت لم تعد تحب أحداً ..

●●●

هجم عليها عند مدخل البيت ، كأنما يغتصبها ..
ـ ألا تستطيع الانتظار ؟!
ـ لا ... !!
ـ ابنتك في البيت .. ألا تريد أن تراها ؟
ـ سأراها فيما بعد .. !
ـ أنت لم تعد طبيعياً .. !!
ـ أنا مشبوب العاطفة .. !
ـ أنت مهتاج مثل حيوان ..! هل كنت تعذب أحداً ؟!
ـ لا تذكريني بهؤلاء المجرمين !
ـ استحم أولاً .. وهدىء نفسك ..! أنت تبدو بشعاً بهذه الصورة !
وعندما احتواهما الفراش أخيراً .. كانت صورة السجين تطبع في ذهنه .. ولا يستطيع أن ينتزعها من تفكيره .. كان يعذبه ويضربه في خياله .. ورفع يده كأنما ليضربه .. صرخت زوجته :
ـ هل نسيت من أكون ؟!
وأخذ يعضها بوحشية ويغرس أظافره في لحمها .. ويشد شعرها كأنما يريد انتزاعه من جذوره ..
ـ أنت جننت !!!
صرخت ثانية .
ـ ابتعد عني ..!! اتركني ..!
أخذت ابنتهما تصرخ من الخارج .. وتضرب بيدها على الباب .
وعندما خرج والدها صرخت في وجهه .
ـ ماذا فعلت لأمي .. !! أنت مجنون .. أنت لست أبي .. أنت بشع .. أنا أكرهك ..!

●●●

انتزع صورة ابنته عن المكتب .. وطوح بها الى الارض .. تكسر زجاجها .. انخلع اطارها .. داسها بقدمه .. ثم انتابه لحظة حنان غير عادية .. تناول الصورة عن الأرض .. كانت بها عدة شروخ .. أطال النظر في صورة ابنته المشوهة بفعل يده .. ثم انخرط في نشيج حاد .. وانهار على كرسيه .

***

منحه رؤساؤه اجازة مفتوحة .. وطلبوا منه أن يتعالج لدى طبيب نفساني .. عاد الى عمله بعد فترة قصيرة .. ولكن أعراض انهيار جديد بدأت تظهر عليه ..

***

كان معاونه يحدثه بصوت مرتفع وهو كأنه لا يسمع

ـ ماذا نفعل الآن ؟!

ردد ذلك عدة مرات .. قال أخيراً :

ـ دعه ..!

أخذ يمعن النظر في كتلة اللحم والدماء التي أمامه .. هذه الكتلة .. كانت انساناً ممتلئاً قوة وعافية خاطب نفسه : «لقد تحول الى حطام انسان .. هو أراد ذلك .. حاولت معه ولكنه لم يصغ اليه ..

وتذكر حديثه :

ـ أنتم تدوسون الانسانية بأعمالكم ..

حاول أن يقنعه :

ـ نحن نعيد ترتيب الأمور .. بما يكفل مصلحة الجميع ..

ـ مصلحة السادة الذين يستخدمونكم لاطالة بقائهم في الحكم .. رغم كل ما تفعلون .. أنتم لن تغيروا مجرى التاريخ ..

ـ نحن الذين نصنع التاريخ ..!

ـ للحكام تاريخهم .. وللشعوب تاريخها الذي ستكتبه بالدماء والتضحيات ..

ـ أنتم لا تريدون للحياة أن تسير .. كما هو مرسوم لها ..

ـ نحن نعجل سير الحياة .. في طريقها المحتوم ..

ـ نحن نوفر حياة آمنة للجميع ..!

ـ أنتم تدوسون حياة الانسان .. أنتم أعداء الحياة .. نحن الذين سنصنع الحياة الجديدة .. حياة الفرح والسلام لجميع الناس .. وأنتم العقبة التي سنزيلها من طريقنا ..

وأخذ يتساءل في نفسه ما هي الحياة التي سيصنعها هذا الحطام ..؟ ما هي الحياة التي سيعيشها .. اذا عاش ..؟! هل بقي له ما يعيش لأجله ..؟!

وكأنما يجيبه عن أفكاره :

ـ أنا لا أعيش لنفسي فقط .. أنا أعيش من أجل الجميع نحن نعيش ونموت من أجل الأجيال التي ستخلفنا .. من أجل تحقيق حياة جديرة بالانسان ..

أما أنتم فسوف تحاكمون على أعمالكم ..!

باستهزاء : ـ هل ستحاكمني أنت ؟!

ـ اذا لم استطع أن أحاكمك .. فالتاريخ سوف يحاكمك ..

وفكر أن ابنته تحاكمه .. لقد حكمت عليه بحرمانه من حبها .. هل هناك أقسى من ذلك ..؟! لقد كانت البداية خاطئة .. بداية كل شيء خاطئة .. فهو لم يكن يطمح أن يكون في هذا الموضع .. كان شاباً وسيماً .. وناجحاً .. وينتظره مستقبل .. واعتقد أن هذه ستكون بداية فقط .. وقد سنحت له الفرصة لمواجهة معارضيه السياسيين .. سيعرف كيف ينتقم منهم .. ان تعيينه في هذا المركز منحه بعض التعويض .. ليستطيع أن يثبت لهؤلاء المعارضين أنه أقوى منهم .. وأنه كيف يتعامل معهم .. كان يريد أن يقضي على مقاومتهم .. ولم يكن يعرف أنه بذلك يقضي على نفسه .. ويتخلى عن انسانيته .. رغم ذلك فهو لم يستطع أن يتغلب عليهم .. انه لا يعدو كونه اداة طيعة في يد النظام .. ولكن لو لم يكن هؤلاء المعارضون ما فائدة من وجوده ..؟! سوف يصبح شيئاً زائداً .. لا ضرورة له ..!

كان رؤساؤه يفخرون به .. ولكنهم الآن .. يهددون بالاستغناء عنه .. فلم يعد نفع كبير لهم .. لقد هزمه هؤلاء المعتقلون .. فهو لم يعد يصمد أمام مقاومتهم ..

***

وأخذ يحدق مرة ثانية في السجين .. لا .. في كومة اللحم والدماء .. التي تشكل جسد السجين ..

وتنبثت من كومة اللحم .. يدان ، ورجلان .. أخذتا تستطيلان .. وتكبران شيئاً فشيئاً .. وتبدى ما يشبه وجه انسان .. وفي وسطه .. برزت عينان تتقدان مثل جمرتين ..

انه ينهض من جديد .. وتعود له قوته ..

كان يقترب منه ببطء ولكنه في عزم واصرار ..

وتراءى له مثل شبح .. يوشك أن يأخذ بخناقه ..

واحس بنفسه ضعيفاً أمامه .. وبقوته تنسل من جسده .. انه لا يستطيع أن يجابهه .. ظل يحدق فيه ليرى ما هو فاعل .. وعندما أصبح على بعد خطوتين منه .. صرخ بساعديه وهو يرفع يديه .. كأنما يحتمي من خطر مفاجيء :

ـ أبعدوه عني ..!

***

توارى السجين عن نظره ..

أراد أن يقف ولكنه لم يستطع .. أحس بنفسه عاجزاً عن النهوض .. ومن بين شفتيه المزمومتين خرج صوت كالصرير :

ـ لا أستطيع .. أن أقف .. ان قوتي تضمحل .. ماذا جرى لي .. ؟ لقد هزمني .. إنه أقوى مني ..

لقد أصبحت ضعيفاً أمامه .. رغم ذلك لا أستطيع .. أن أحتمل .. أن يهزمني .. أعيدوه الى هنا ..!!

(الضفة الغربية المحتلة)

قصة قصيرة

ليتهم ثلاثة

بقلم : سامي كيلاني

حلت ديانا مصروفها اليومي وقلبته مراراً بين أصابعها ، ثم جلست على الكرسي بجانب الباب في انتظار ان تفرغ أمها من غسل بعض الصحون في المطبخ ، لتمضيا معاً ، توصلها الأم الى الروضة وتكمل طريقها الى مشغل الخياطة . قلبت ديانا مصروفها مراراً وهي تفكر ما الذي ستشتريه بهذا المصروف اليسير ، الذي يعقب زيارة والدها في السجن ، فقرت الى ذهنها صورة الزيارة ووالدها خلف الشباك يمد إصبعه ليسلم عليها ويضع خده على الشباك ويطلب منها ان تقبله لتوالق على مضض لأن طعم قبلة الحديد لا يعجبها ، ثم يطلب منها ان تضع خدها ليطلبها ، يحكي لها قصصاً ويقطع وعوداً بأن يحمل لها طائرات كثيرة حين يخرج ، ثم يسألها عن الروضة وماذا تعلمت من أناشيد ، تمنت لو أن الزيارة تحدث كل يوم لترى والدها ولتحظى بمصروف مماثل للمصروف الذي بيدها ، وقفت فجأة وصاحت بأمها ان الوقت قد تأخر وأن عليها ان تنهي ما بيدها من صحون لتخرجا حالاً . طمأنتها الأم بأنه لا يزال هناك متسع من الوقت . لم تعجبها هذه المماطلة من أمها ، فالمصروف يفلت من يدها لتحل محله قطعة شوكلاته فاخرة ، وحبات ملبس ، وضعت صوراً تفصيلية ليومها القادم ، ولم تنس أن تضع صورة ختامية لهذا اليوم الرائع ، ستبقى حبة واحدة لتحملها بيدها وتعدو نحو بوابة الروضة لتقبل والدتها وتعطيها الحبة ، سيكون يوماً مليئاً بالفرح . لقد حفظت النشيد الذي من المقرر ان تلقيه في حفلة عيد الأم التي ستقيمها الروضة ، وحضرت في ذهنها إجابة طويلة مرتبة إذا أعادت المعلمة سؤالها ، ماذا تحبون ماما ، وقررت ان تحكي للمعلمة ولبقية الأطفال انها تحب بابا أيضاً وستحكي لهم ما تتذكره من أعمال بابا وهداياه لها قبل ان يأخذ العسكر للسجن لأنه يحب الوطن كما قال لها ، وان سألتها المعلمة أو سألها الأطفال ما هو الوطن ، ستعيد إجابة بابا لها حين سألته نفس السؤال : الوطن بابا وماما وأنا والأولاد والبنات والشوارع والشجر والمتنزه ، سيكون يوماً حافلاً ، لكن مماطلة امها وعملها في المطبخ يقف بينها وبين ....

ألحت مرة أخرى على والدتها بالاسراع في عملها لأن الوقت تأخر ولا بد ان الجميع قد

وصلوا الى الروضة قبلها ، خافت كثيراً من فكرة التأخير فالتأخير يعني ان تنتهي الشوكلاته ، ومن الممكن كل الأغراض من الدكان القريب . لامت نفسها كثيراً لاهمالها توصي البائع ان يحجز لها قطعة شوكلاته فهي تعرف مصروفها هذا اليوم ، هذه هي أخطار بل مصائب . التأخير الذي تسببه لها الأم ، فما نفع المصروف إن قال لها عمو مأمون البائع ان الشوكلاته قد انتهت . غضبت وقررت أن تخاصم أمها وترمي لها المصروف إن حدث ذلك ، والمصيبة الاخرى التي ستحل بها ان تجد فهد يلعب مع ميسون ، إنه يتدلل عليها كثيراً ويهددها في الصغيرة والكبيرة انه سيتوقف عن اللعب معها وسيلعب مع ميسون . قررت بكل حزم ان تشكو الأمر الى أبيها في الزيارة القادمة ، ستقول له كل شيء ، لن تعمل وصية أمها بعد اليوم ، ما دامت هي لا تسمع الى أمها في انهاء ما بيدها فانها لن تقول لبابا انها تأكل جيداً وانها راضية عن مصروفها أو انها لا ترى ماما تبكي ، ستمتنع عن تنفيذ وصايا والدتها التي تلقنها عليها قبل كل زيارة ، فكرت عميقاً ، سيزعل بابا من هذه الأخبار وربما يبكي ، تراجعت عن كل ما فكرت به وأبقت على قرار واحد ، ستشكو له كسل أمها ، لم تبق الأمر سراً وصاحت ماما بدي أشكي لبابا عنك . أكدت الأم ان الوقت ما زال مبكراً وانها ستنهي ما بيدها حالاً ... توالت الصور متضاربة في رأسها ، تذهب الى عمو مأمون فيضحك ويناولها قطعة الشوكلاته فتذهب الى فهد وتتقاسمها معه فيلعبان سوية وفي الغرفة تجلس بجانبها ويرسمان معاً ما يخطر لها . ستقترح عليه ان يرسما وجه أبيها خلف الأسلاك ثم يرسما وجه جندي يحمل بندقية ، وستطلب من فهد أن ينقض معها ويشطبا على وجه الجندي ، امتلأت سروراً ومدت لسانها مكايدة في وجه ميسون ، ثم ضحكت في وجه فهد ، سارت الأمور على ما يرام ... لكنها فطنت الى الوقت ، الى هذه السنين التي مرت منذ دخلت والدتها المطبخ ، وغرقت في الصور السوداء ، تذهب الى عمو مأمون لتطلب قطعة الشوكلاته فيجيبها دون ان يعيرها انتباهاً بأن الشوكلاته قد انتهت وان الحق عليها لأنها تأخرت ، فتذهب الى الساحة لتجد فهد وميسون يلعبان سوية ويأكلان الحلوى سوية ، ثم تصورت ميسون تمد لسانها في وجهها وفهد لا يعيرها أي انتباه ... لقد طفح الكيل ، نهضت عن الكرسي وصاحت بأعلى صوتها : ماما ، يلا تأخرنا ، فتركت الام ما بيدها وجففت يدها بسرعة وتوجهت نحو ديانا ومدت يدها لتمسك باليد الصغيرة ، لكن ديانا لم تسلم يدها الا بعد ان نقلت المصروف لليد الأخرى وخرجتا من الباب وديانا تسحب امها وتتقدمها ولا تلتفت الى شيء حولها، على عكس عادتها في كل يوم .

تركت ديانا يد والدتها واتجهت تركض نحو باب الروضة ، لكنها فطنت عند الباب فاستدارت وهزت كفها مودعة امها واستأنفت ركضها نحو الساحة ، اقتربت امها من المعلمة الواقفة قرب الباب وحيّت المعلمة وطلبت منها ان تشكر اللجنة النسائية على قرارها اعفاء ديانا من الأقساط ، وقبل ان تواصل طريقها نحو مشغل الخياطة فتشت بعينيها عن ديانا فرأتها تركض في الساحة وجدلتها الصغيرة تقفز في الهواء مع قفز صاحبتها ، احتضنتها بعينيها ومضت في الطريق وصورة تمنتها كل يوم تحاصر في ذهنها ، لو انه معها ليحضرن ثلاثتهم في هذا المشوار الصباحي يمسك كل منهما بإحدى يدي ديانا ويطيرانها في الهواء بين الفينة والأخرى ويطيران ضحكا لضحكتها .

قصة قصيرة

جفنة الحب الخزفية ميراث بوتقة الصمت

بقلم: فاروق أوهان
الامارات

عريضاً ينتصب الشارب الأحمر على وجه منتفخ الأوداج، محمر الوجنات، تتناثر متدفقة الكلمات تحته، كرذاذ بارد أحمق، أو كسيل من الرغوات الرعناء.. وينظر (كيفورك) بنظاراته البلورية، منكمشاً على بلاط القاعة الشطرنجي، بخوف وفزع، فلا يقوى على التحرك أو التنفس، لأنه يعلم بأن انزلاق مديره الحزقي قد عاد مجدداً، عاد بتيار جديد، في اللون والطابع.. فترى عيون (كيفورك) من خلف زجاجها الرابض أمامها، كحاجز بوابة بنابة انزلاق الظفر الشيطاني الأزرق، في أصبع مديره ذي الشارب العريض الأحمر، ذلك الاصبع المرصع بخاتم مرفع بماسة افريقية اقتطعتها وصقلتها بلجيكا بمهارة.. نقلها مديره هدية من زميله القادم من الجنوب الافريقي المساهم معه في مؤتمر اتحاد الصناعات في (بروكسل).. وعندما ترمش أجفان (كيفورك) في اتجاه أعلى من جسد المدير المهيمن فوقه.. يرى ناب مديره المذهب بارزاً كناب ذئب أو ثعلب مخيف، ناب مخضب بالدم والجفاء أو بقشور الرمان المرطبة، كأنه ناب قصاص دماء الجنس الابيض في أزقة (سوهو) الملطخة بالقذارة.. وترتعش مهتزة نظارات (كيفورك) على صوت مديره الراعف.

ـ انت مطرود.

وعندما لا يسمع منه جواباً، يهز المدير رقبة وجهه المحتقن بنمش أو بهق أحمر فيضيف:

ـ لكننا سنغفر لك هذه المرة فقط، اقصد سنعطيك مهلة قصيرة لكي تراجع نفسك.. والا فهناك وسائل أخرى أنت تعرفها.. يقول ذلك ويشير بأصبع ظفره الأزرق الى زاوية فيها ثلاثة صناديق لأجهزة قمع متمرسة، يلبس كل منها قناع الواجب الرسمي، ليختفي وراءه كحاجز أو ستار يقيه عوارض الزمن وتقلبات الكراسي.. وينهض (كيفورك) بعموده الفقري المتراخي كالعود الأخضر المبتل مرتعشاً، فيهتز زجاج نظاراته الشفاف ليتصاعد من فمه واحشائه بخار أزرق يصبغ لون الزجاج، فيبدو نصف شفافة، كشاشة فضية يرى من خلالها فتاته الفرنسية، في ساحة النجمة الباريسية تركض خلف التماثيل المسورة على جدران تحجب جدرها المجهول، تهرب مع ابتسامة عدسة كاميرته لوجوه الابطال المصورين نحتاً، والقين منذ زمن الانتصار بانتظار المارة، والزمن، وكل عابر سبيل، كشواهد للعصر وما فعلت السنون قبلهم بالناس هنا. ويجلس (كيفورك) هامساً لنفسه، ولانفاس حقيبة تصويره، التي جمع فيها حصاده، مبتهجاً يكتم روحه عن الروعة والبهجة، عن السعادة والجرأة المرتسمة على كلمات فتاته الشجاعة التي تعبر بحرية مشروطة عن كل ما يجول بخاطرها، وعن كل سؤال له.. دون مواربة أو التفاف ما بين السطور والكلمات. فينس الوقت في جيوب الانتظار ويسرح معها في صفاء المعاني ونقائها. دون اللجوء الى المترادفات.

وتتكتك ساعة الحائط أعلى رأسه، فيسمع في الحال صفير ساعة مديره الالكترونية بتكرار وصدى متردد يتراجع.. كرنين دقات الساعات في أسواق (هونك كونك) المفتوحة على الخارج بكل عواهرها وسماسرة الدعارة، على كل مستهلكي البضائع أو مصدريها، صفيرها يذكره أيضاً بأوقات الدوام والاستعداد.. أو مواعيد انذار الدفاع المدني في أوقات اللاحرب. لكنه سرعان ما يغفو بذهنه على السعادة البارزة من الندف الرخامي في ظهره، وهو يتكئ على قاعدة التماثيل عند النصب التذكاري، كأنه في ربيع مزهر يسوده الاخضرار الكامل، بكل تدرجاته اللونية، فيرى الدنيا من عدسات مغلفة برتوشات بدرجات مختلفة الاخضرار، فلا يسعه الا الدخول في جفنة الحب الخضراء، في بوتقة الصمت حيث لا يتم فيها الكلام المفوه، ولا تنطق الحروف فوق الشفاه.. وفي الخلف تبرز السعادة على وجه زوجته المتوفاة كأنما هو معها في الزمن الماضي، غير متذكر أن وجهها قد نام قبل سنين كثيرة حين داهمه المعتدون في ليل السكون البارد يريدون منه توقيع ورقة صفراء.. فيباع أثاث بيته والكتب في مزاد بخس، وهرب فجر عيد الميلاد مضحياً بزوجته وابنته، وبشجرة العيد التي تركها مزينة، أمام باب الدار تنتظر رجوعه لتشعل زوجته فوقها شمعة الصبح طويلة الليل.. وها هي زوجته تقبل وجه ابنتها الحية الداخلة توها في السبات الابدي.. غافية على مخدة الفراق والاسى، فتنتفض من الروع والفزع.. هذه ابنته (ناهيد) متمرغة من حضن الاحتقان والالم، من جوف الفراغ الازرق حيث الآلام والاوجاع من أحدث أمراض العصر.. ويفكر.. كيف لم يتذكرها أو يراها في أحلامه.. طوال مدة غيابها الاولى، ويسمع الآن صوت الطبيب وهو يصيح بانفعال المحترفين.

ـ ان سحب الماء من بطنها لا يكفي، فليس بمقدور ابرة أن تسحب أكثر من لتر من الماء الازرق في يوم واحد.

ويركض الممرضون متخبطين في ممرات المستشفى، وهو يستنجد بالاطباء.. وبطن ناهيد

ينتفخ بالمياه.. ينتفخ.. وينضح.. ينضح (ينتفخ من جديد) حتى ينفجر الدم من الحلق والرئتين ليتقلب وجه (ناهيد) على ظهره، فتغور الأنفاس والاحلام تحت جلد الموت.. ويتم كل شيء على وجه السرعة كالخيال.. والآن تضع الأم راحة يدها في كف ابنتها فرحة بلقائها، لتأخذها لتطيرا معاً، ويداها ممتدتان على وجه قماش مطرز بالبياض المنسق.. وكأن الأم تبارك خطوة ابنتها أو تعاتبها على الفراق فتضمها بكلام يحدس معناه.. فيترجمه هكذا.

ـ هل كنت تعتقدين بأني ساصبر على فراقك طوال عشر سنين.. ويبقى (كيفورك) جامداً، يخاف تحريك أي شيء حتى يده، لئلا تهرب الاشباح فزعة من نسمة تقلق راحتها، فلا ينطق حتى في احشائه عن حبهن ووده لهن.. ويأتي صوت المدير ناسفاً كل تناسق وانسجام في ذهنه.

ـ عد الى مكتبك الآن.. وسيكون كتاب التنبيه امامك بعد ساعة.

يقول المدير ذلك ويضغط على جرس التنبيه لتدخل سكرتيرته بينما يتحرك (كيفورك) وهو يغمغم بكلمات ممزوجة بالواقع والخيال، مبهوتاً من انغام الحال ودقات التوقيت والنظام، حيث الكلام والاكل والسير وكل متطلبات الحياة بانتظام وترتيب، بل وحتى اداء فروض الطاعة والاحترام لا بد لها من نظام.. وكذلك الاحلام فلا بد لها أن تأتي بناء على جداول ومواعيد.

ـ حتى الاحلام!.. كلا.. كلا.. شيء غير وارد أبداً.. كل شيء الا الاحلام، فمن أين لي بذلك الانسياب، فما أحلى أن تأتي الاحلام بلا موسيقى، بلا انتظام.. تطفر السنوات قبل السنين والثواني تصبح دهوراً، والقرون تبدو ومضات في ذهن مشدود.. ويتذكر (كيفورك) ويلات القصف في الحرب الاولى عندما هرب أهله وبقي هو مع خاله (اليقون) مصارعاً كل محذور بين جبل (سنجار) وبلاد (جزيرة عمر)، يحرس ديار وآمال أهله التي تركوها خلفهم، أحلامهم وأمانيهم في الارض والبيت وفي كل قطعة بسيطة نسوها أو تركوها على أمل الرجوع اليها.. لكن زوجته وابنته تركتا في هذا العصر كل ميراث لهم، بلا حرب أو مجابهة واضحة، فعرضهن كان سبياً أو تضحية غير مسجلة في دفاتر التاريخ.. ليلة الاعتداء على بيته وأهله.. زوجته الضحية، تلك الطاقة الفذة، ذلك التراث الذي تتغنى على لسانها القصائد والقصص والتراتيل.. وتتغنى على يدها ابرة الابداع وغرزات النقوش على ملابس الناس وأقمشتهم.. زوجته ذلك الحب المتدفق من أجله ومن أجل الآخرين، من أجل الارض والشرف.. ويدها.

ـ آه يدها، نسيت أنها فقدت القدرة على الابداع والحركة، قبل أختفائها.. مصارعة داءها، محاربة الوجع وآفات الطبيعة الفتاكة.

نسي أن يدها التي فقدت القدرة على تشغيل ابرة الابداع لوضع غرزات النقوش على أقمشة الناس والجيران في بلدتها والضياع الاخرى قد ثبتت بابرتها حتى عيون البصر في وجهها، كذلك فعل مقصها وكل ادواتها من أجل الباس العرائس اثواب الزفاف.. نسي أن يدها والجزء الايمن من جسمها قد فقدا الحركة حينذاك.. ويسمع في الخيال فتاته الباريسية تسأله عن سر تجهمه وعدم تصديقه لما يراه ويسمعه، فيحار في الجواب لأنه يعرف حقيقة الامر التي لا يقوى على الكلام عنها بصراحة دون مواربة.. لأنه قد تعلم الخرس وعدم البوح بصريح الرأي، وبكل ما تعتمل به النفس، فهو ممنوع والمسموح فقط هو ما يساير أقوال مذيع الراديو الرسمي، أو بحدود المعقول.. والا فهو متهم بالباطل والبهتان، لذلك لا يعبر لا

هو ولا أمثاله عن رأيهم أو شعورهم ابداً حتى ولو سئلوا عنه بالصدفة الا بجملة واحدة حفظوها عن ظهر قلب يسعون الى تبديل مواقع كلماتها أحياناً والتي صارت (كليشيه) ثابتة لكل مناسبة وهي.. (شعوري شعور أي مواطن مخلص)! فتضحك فتاته لاعتقادها بأنه يؤلف قصة خيالية أمامها لكنه يذكرها بأهل وناس جارة بلادها الجنوبية الذين يرزحون تحت أعمدة الجنرالات وفوقها يجلس عرش الدكتاتور مكمماً كل الافواه.. حينذاك يرى دمعة دالقة تركض على خد فتاته.. فيعرف بأنها فهمت أخيراً صدق معاناته.

وتنفتح عيونه من خلال نظاراته، على ورق الكتابة وحروف المقالة التي يكتبها، انه يعاني من دوار وطول تفكير، بل ويعاني من كثرة الاسترخاء والهروب بالافكار، فها هو الانذار يحمله ويجب أن يقرر موقفه في الحال.

ـ نعم.. نعم.. يجب أن أصارع القدر لاحافظ على بقائي. أنا الذي وضعت كل الخطط والاسس هنا، وبالتالي أطرد.. لماذا؟.. لأني الآن قد أصبحت من عداد الذين لا ينظمون في أوامر المدير.. أو كما يقول هو لموظفيه بلهجته العامية (أنتي لا أركب على مزاجه).

ويعود مجدداً لكتابة مقالته عن الخطة الصناعية للسنوات القادمة بعد أن قرر ألا يخون نفسه على الاقل.. ومن وراء زجاج نظاراته المتماوج على سطح التدفق الكلامي، في صور الحروف والكلمات الراكضة ومن خلفه يقف وجه (ناهيد) المتحرر من الألم والعذاب، يبتسمان له معاً، فيتخيل أنهما تغمزانه وكأنهما تدعوانه الى وليمة غداء.. فيجلس معهما ليسحب عظام الصدر من اللحم الهبري.. لكن مديره الابرص يخط فوق اناء اللحم، فيصاب بالغثيان ويهرب، ومن خلفه تطير الحيتان فوق غطاء السحاب كأنهما تركبان عربة من قماش أزرق طويل، ليفرح ويتمنى أن يلبس معهما رداء الموت كحد فاصل لمعاناته.. فيلتف بكفن أخضر ويدخل في تابوت خزفي الاخضرار ويغطي نفسه من الداخل.. فيسود الظلام والسكون حيث لا هم ولا حسرة.. ليجلس كأنه في عرش مدور، مركب في قنديل زيت مسحور، يحترق لينير وجه الدرب لكل عابر سبيل، أعلى الكهف في درب ضيعته القديمة، حيث يجتمع الحراثون والزراعون والحصادون في آن واحد يؤدون أعمال كل المواسم معاً.. ويقف هو كالموقد على دربهم لا يذوي ـ ينير الدرب الصعب، درب الشقاء.. لكنه درب السعادة والأمل.. درب أمه وزوجته وابنته وكل نساء العالم، درب الارض التي يريدها أن تخصب كرحم امرأة حبلى، ويرى نفسه من الداخل يتقد ويتأجج، يمد اللهب بغذاء مستديم، لا يذوي ولا ينكسر أو يتلاشى، كالطود يبقى شامخاً.. لان وجه الارض، وجه نسائها يلح عليه باصرار للبقاء مدى الاجيال دون حركة أو انفعال.. ويتذكر وجه فتاته الباريسية الخالي من التزييف والتبطين، جريئة بكل أبعاد تاريخها المكتسب من زمن المقاومة في احتلال باريس، تعبر عن رأيها بكلام حر.. وهو الصامت باحتجاج على كل ما يتفوه به مديره، يصمت هو وكل أبناء جلدته وربما يتكلمون بكلمات مقتضبة أو يلتفون حول الكلمات برطانة متمشة بعيدة عن الجواب.. ويأتيه الحل كالومض، لا بد أن يبدأ منذ الآن لتفجير البلاط تحت قدمي مديره ومريديه.. وأن يتبنى الاحتجاج الصارخ من أجل الكلام.. الكلام بلا حدود.. ولا تقييد.

عن مجلة «المنتدى»
(دبي)

شهريات ثقافية

يكتبها هذا الشهر :
ناجي ظاهر

● مجلة «لقاء»

ـ ١ ـ

☐ صدر مؤخرا العدد الثاني من مجلة «لقاء» العبرية ـ العربية . وهو العدد الثاني الذي يصدر في المدة الاخيرة ، ويشرف على تحريره الكاتب محمد حمزة غنايم . وكانت قد صدرت من مجلة «لقاء» ستة أعداد . صدر العدد الاول منها سنة ١٩٦٤ وشارك في تحريره ، كما جاء في الصفحة الاولى من هذا العدد ـ الذي نتعرض له ـ كل من : يهودا بورلا وموشه ابراهيم والبروفسور موشيه بيلنسا ومردخاي طبيب والياهو أغاسي ومحمود عباسي وأهرون زكاي ونير شوحيط . أما المؤسسة التي تقف وراء هذه المجلة وتمولها . فهي مؤسسة سياسية «المعهد اليهودي ـ العربي التابع للهستدروت ـ بيت بيرل» . ويبدو ان احد أهداف هذه المؤسسة هو اللقاء العربي ـ اليهودي ، وهذا هدف نبيل ويستحق التقدير . لكن على شرط أن يسعى الى تحقيق هذا الهدف النبيل فعلا . لا قولا فقط !! ولا شك أن إصدار مجلة عربية ـ يهودية في ظروف مثل ظروفنا ، ظروف تتفاقم فيها الفاشية وتنتشر انتشار النار في الهشيم ، يكتسب نوعا من الأهمية . ويأخذ فاعليته من التناقضات المثيرة للاشمئزاز التي تشهدها حياتنا في هذه البلاد التي كتب علينا أن نعيش فيها جنبا الى جنب مع شعب آخر ، يخرج الينا بين الفينة والفينة من أبنائه من يقول لنا : أنتم غير مرغوب بكم . في الوقت الذي ليس لنا ـ فيه ـ بلاد غير هذه البلاد . أو وطن غير هذا الوطن.

إننا نعلم ونعرف حق المعرفة ان الفاشية تحفر قبرها بيدها ، ذلك أننا نؤمن أن النقيض يولد النقيض ، ونعرف كذلك أن لحظات الحزن والضياع والتشرذم ، هي لحظات عابرة في تاريخ الانسان ، وأن المستقبل كان دائما للانسان . وان الحتمية التاريخية تقول بانتصار الانسان لا هزيمته . لكننا نعلم ايضا ان «الحتمية التاريخية» لا تأتي من تلقاء ذاتها ، وإنما تأتي بارادة القوى الخيّرة والتقدمية والواعية في المجتمع ـ ايضا . فللانسان الواعي والمدرك لعجلة التاريخ دور ، في تسريع دورة التاريخ .

من هنا ـ نظريا ـ تأتي أهمية مجلة عربية ـ يهودية . والسؤال الآن : هل قامت مجلة «لقاء» بدورها ؟

لقد جاءت الاعداد الاولى من «لقاء» سنة ١٩٦٤ لتسعى الى بلورة «لقاء» وتقريب وجهات نظر ، وكان على المشرفين عليها أن يتعلموا من التجربة ، فالتجربة لم تنجح في السابق وكان لذلك أسبابه . ولعل أهم هذه الاسباب ـ رغم الحماس الذي أبداه بعض محرري المجلة سابقا ـ ان المجلة لم تطرح شيئا يسعى الى بلورة «لقاء» وتقريب وجهات نظر ، وإنما بقي

الأمر ضمن خطة الهستدروت سابقا . تلك الخطة التي هدفت الى تقريب بعض «المثقفين» العرب الذين لم يجدوا انفسهم في أي تنظيم سياسي ، أو انتموا ـ في تلك الفترة ـ بنوع من التردد . ونشرت «لقاء» قصة هنا ، وقصيدة هناك . ولكنها شأن بقية المحاولات التي رفعت شعارات أخوة عربية يهودية (ولنتذكر بيت الكرمة في حيفا) لم تنجح في إثارة القضايا بشكل جدي . ولم تقم بالدعوة الى لقاءات بين مثقفين من كلا الشعبين لم تقم من ناحية ، بهذا . من ناحية ثانية لم تهتم بنشر مقالات تتسم بالجرأة الفكرية والعقلانية لكتاب ومثقفين يمثلون شعبهم، وإنما ذهبت الى مثقفين لم يجدوا انفسهم في اي تنظيم سياسي او انتموا بنوع من التردد كما سبق وقلت. وهكذا وجدت مجلة «لقاء» نفسها في تلك الفترة، مجلة بدون جمهور.

والخلاصة انها لم تقم بدورها الذي كان من المنتظر منها ان تقوم به، مما ادى الى تفريغها من معناها «القاء» والى عزوف جمهور القراء عنها.

أعود الى السؤال : هل قامت مجلة لقاء بدورها ؟ وهل استفادت من تجربتها السابقة ؟ شخصيا، أحب بل أتمنى أن تقوم بدورها، لأن حياتنا الثقافية لا ينقصها ـ كما ـ نشرات ومجلات، وبالنسبة للشق الثاني من السؤال، أفضل أن أتناول ـ العدد الذي صدر مؤخرا من المجلة ـ فهو ـ يحمل الاجابة الحقيقية. لكن قبل ذلك أحب أن أشير الى ملاحظة أراها هامة، وهي أن رفع الشعار «مجلة عبرية ـ عربية للابداع» لا يعفي المجلة من مهمة «اللقاء» الذي يجب ان تقوم به، نتيجة للظروف الموضوعية التي تطرقت الى بعضها سابقا.

ان العدد الأخير من المجلة، لا يحتوي مقالة واحدة تتعرض «للقاء» اليهودي العربي. الا اذا اعتبرنا مقالة نعيم عرايدي (أحد مستشاري التحرير) «بين ثقافتين» ـ كذلك رسالتي ـ على ذكر هذه المقالة، بعد قليل.

أما بالنسبة للابداع الذي احتوته او قدمته المجلة (ولنسلم مؤقتا بأنها مجلة للابداع)، فأضع أمامه علامة سؤال كبيرة، ذلك ان ما قدمته المجلة، لا يمثل أفضل ما انتجه الكتاب الذين قدمتهم للقارىء، وكانت هذه الحجة تبطل لو ان المجلة سلكت ما تسلكه غيرها من المجلات، حيث تستكتب الكتاب وتوافيها بكتاباتهم، اما وقد اختارت المجلة طريقا آخر بنشرها أفضل ابداعات الكتاب الذين قدمتهم، فان الامر يختلف لقد قدمت المجلة ـ مثلا ـ قصة «فتوى جحا بشأن ذات الاثنين» وهي فتوى جحا حقا !! للكاتب أحمد حسين، لسبب سياسي، اعتقد انه بعيد عن الابداع، ذلك السبب يتعلق بتعرض القصة ـ عن طريق الايحاء والتلميح ـ لتنظيم سياسي، يمثل مجموعة كبيرة من شعبنا في هذه البلاد، والتعرض له ولممارساته لم يتحول بعد الى تقليد ادبي ابداعي، تقدمه للشعب الآخر. وفي الوقت ذاته كان بامكان محرري المجلة تقديم قصة اخرى للكاتب ذاته، من مجموعته القصصية «الوجه والعجيزة» قصة تتحدث عن العلاقة العربية اليهودية !! ولكنهم لم يفعلوا!

ان روح التجميع والارتجال ـ رغم الجهود الكبير الذي بذله المحرر في ترجمة بعض الاعمال العبرية ـ واضحة في هذا العدد، فما جدوى نشر لقصيدة او قصة، سبق وترجمت ونشرت في صحيفة عبرية !! وينطبق هذا على القصائد المنشورة في هذا

العدد لطه محمد علي والتي سبق ونشرت في احد الاعداد الاخيرة من مجلة «عيتون ٧٧» العبرية !!

تقودنا هذه الملاحظة الى ملاحظة اخرى، هي طريقة النشر ذاتها الهدف الاساسي من نشر قصة او قصيدة او مقالة في مجلة تتوجه الى قارئين، كمجلة «لقاء»، بالاضافة الى اهتمامها باختيار وانتقاء المواد التي تنشرها، من المفروض ان تتبع طريقة نشر واضحة، فليس من المعقول ان تجري الامور، حسب وجود المواد المترجمة او عدم وجودها والقاء على المجلة ـ فيما ارى ـ ان تسلك احدى طريقتين. فاما تنشر المواد التي تختارها بكلتا اللغتين العربية والعبرية، وتكتسب بذلك انها بالاضافة الى اطلاع قارىء احدى اللغتين على نتاج كتاب اللغة الاخرى، انها تقدم نوعا من التوثيق للمواد التي تقوم بنشرها، واما ان تنشر المواد التي تراها مناسبة في لغة واحدة، هي ليست اللغة التي انتج وأبدع بها وانما هي اللغة الاخرى. وبذلك تكتسب نوعا من الدينامية والحركة، فالمادة سواء، كانت قصيدة او قصة او مقالة، حينما تنشر بلغة كاتبها الاساسية وتترجم بعد ذلك، يكون القراء قد قرأوها، ولا حاجة لنشرها الا من باب التوثيق كما سبق والمحت. ومن الضروري الاشارة الى وجوب ترجمة المواد في المجلة من احدى اللغتين الى الثانية. والا ما فائدة ان تنشر مادة ما في مجلة لقاء ـ غير مترجمة وبامكان القارىء ان يعثر عليها في اي مجلة او صحيفة اخرى !! لقد حدث هذا في نشر اكثر من مادة في هذا العدد مثل : «ثلاث قصص قصيرة» ليوسل بيرشطاين و«حادثة في الزقاق» (فصل من رواية) لعاميلا عينات، و«كنت طفلا عشية» لايهود بن عيزر. وغيرها من المواد.

وهناك ملاحظة اخرى هامة هي : ان على محرري المجلة تحديد هوية الكتابة التي يريدون تعريف القارىء اليهودي بها. فهل هم يريدون تعريفه بالكتابات التي ينتجها الكتاب في بلادنا ام يريدون تعريفه بالكتابات التي ينتجها الكتاب في العالم العربي !؟ ان التخبط ـ في هذه القضية واضح في هذا العدد، فهم ينشرون الكثير من المواد التي كتبها كتابنا في هذه البلاد، والى جانبها ينشرون كتابات من العالم العربي. صحيح انهم ينشرون ليوسف ادريس، ونجيب محفوظ، ولكنهم ينسون ان كتابا قديرين ومتقدمين ايضا فرضوا انفسهم على الساحة الادبية والفكرية في العالم العربي وفي العالم اجمع مثل حنا مينه وحسين مروة ومحمود أمين العالم وغيرهم كثيرون. ان أغرب ما في الامر ان محرري المجلة يتجاهلون مثل هؤلاء الكتاب الذين يعتبرون كتاب المرحلة ويهتمون بنشر نتاج لكاتب غير معروف ـ في بلاده مثل نعيم تكلا !!

ـ ٢ ـ

تضمن هذا العدد من «لقاء» مقالة قلت أعلاه انني سآتي على ذكرها، هي مقالة «بين ثقافتين» لنعيم عرايدي. والواقع انني ترددت كثيرا، في ذكر هذه المقالة، لعدة اسباب، لكنني تغلبت على ترددي وقررت ان اذكر هذه المقالة. اما الاسباب التي جعلتني اتردد فاذكر أهمها، أولا : ان نعيم عرايدي لم يحدد ما يريد قوله، ففي أول مقالته يوحي بانه يتحدث عن الادب او الثقافة العربية في بلادنا مقارنا اياها بالثقافة العبرية التي يعشقها، الى درجة انه

يقول، لاسباب سأتعرض لها بعد قليل، انه «لا يوجد انتاج عربي عظيم ولا يوجد كتاب عرب عظام» ثم يقول «ادب متوسط وادب رديء» يوجد بكثرة، وما يعتبر العرب ادبا عظيما انما هو ادب متوسط ودون المتوسط بالمقاييس العالمية، بدا بالايحاء انه يريد ان يتحدث عن الادب الذي ينتجه كتابنا في هذه البلاد، وانتهى الى الحديث عما انتجه الكتاب في العالم العربي، لماذا دفعه في ذلك ! جعل الموضوع فضفاضا وواسعا، وبات من الصعب ان لم يكن من المستحيل مناقشته في مقالة تنشر في صحيفة او مجلة. ثانيا : اعتبر ان اية فكرة او مقالة تهدف الى شيء، وقد سألت نفسي ما الذي اراده الكاتب من وراء مقالته فلم اخرج بنتيجة، اما النتيجة التي يخرج بها القارىء لمقالة نعيم عرايدي فهي الاحساس بالعدمية القومية، فازاء الادب العبري الادب العربي الذي بلغ ذرى عالية في الرؤية والابداع «لا يوجد انتاج عربي عظيم ولا كتاب عرب عظام» وحين يختار نعيم عرايدي شاعرا عربيا مبدعا او استثناء، يقع اختياره على انطون شماس الذي يكتب بالعبرية. والسؤال الآن : وأدونيس والبياتي والحجازي ودرويش والقاسم اين ذهبوا !! يهودا عميحاي يصبح اكثر انسانية ثالثا : ان كتابات عرايدي في المدة الاخيرة، يغلب عليها عنصر الاثارة. وعهدنا بتصريحاته لصحيفة «هارتس» عن الادب العربي في بلادنا وعن «مافيا الكتاب الشيوعيين» ليس بعيدا. وما يثير.. في مقالته هنا ـ هو انه صنع من نفسه حاكما وراح يطلق الاحكام ذات اليمين وذات الشمال، وكنت افضل لو انه ذهب الى قصيدة معينة ودرسها، ولا بأس بعد ذلك من ان يعطي صاحبها، بعد اصدار حكمه، شهادة.

اثارت مقالة نعيم عرايدي «بين ثقافتين» الكثير من القضايا وكنت على استعداد لمناقشة جميع ما طرحه من قضايا، لولا السذاجة التي اتسم بها طرحه لبعض القضايا مثل «قضية الاحتجاج» فهو في طرحه لهذه القضية ـ مثلا ـ يساوي بين المفترس والضحية، وبين القاتل والقتيل. ولنقرأ سوية : «بامكان الشاعر العربي ان يكتب قصيدة احتجاج عظيمة، موظفا كافة الوسائل الفنية التي يستمدها من تراثه الثقافي، ضد المذبحة الفاشية التي حدثت في صبرا وشاتيلا. الا ان الشاعر ذاته لن يجرؤ على الاحتجاج على مذبحة مماثلة نفذها ابناء شعبه بحق الطرف الثاني في الدامور، هذا عدا الاعمال الارهابية ضد ما يسمى بالعدو الصهيوني.» لن اعلق على هذا الكلام، وانتقل الى أهم وأخطر القضايا التي يثيرها نعيم عرايدي.

القضية الاولى، الادب والسياسة : ليس غريبا ان يطرح عرايدي في مقالته هذه القضية، كقضية اساسية. فالكتاب اليهود ايضا يطرحونها على كتابنا ويدعون ان ادبنا هو ادب سياسي، او هو سياسة بالدرجة الاولى، ويتناسى هؤلاء الكتاب، مثلما يفعل عرايدي، ان الفصل بين الادب والسياسة هو سياسة، تخدم، ارادوا او لم يريدوا، السلطة القائمة والحاكمة. وان مثل هذا الكلام لا يزري على الكتاب الذين هم «ضمير الامة» كما جاء في مقالة عرايدي ذاته !! اضاف عرايدي الى اتهامات الكتاب او بعض الكتاب اليهود لكتابنا بأنهم يكتبون سياسة، كونه اديبا عربيا، اضافة غريبة، فقسر ابتعاد الكاتب عن صدقه «بنقصه الصدق» بالتزامه

الاجتماعي الذي لا «يوفر للكاتب العربي الحرية الجبرلية». اما كلامه عن «حرية الاديب» و«هيكل الابداع» الى آخر هذه الكلمات الطنانة الرنانة، فقد انقضى به الى عزل الادب عن السياسة، مع انه لا يوجد شيء في الواقع غير مربوط بغيره، وان السياسة كالفن هي احد اشكال الوعي الاجتماعي. وانه لا يوجد حرية في الهواء ولا الحرية هي نتاج زمان ومكان محددين. لقد انقضى به هذا «العزل» الى مساواة المفترس والضحية، القاتل والقتيل، كما رأينا قبل قليل. زد على ذلك ان فهمه المثالي للاشياء «حرية الاديب» و«هيكل الابداع» افضى به الى التقليل من شأن الكاتب العربي الذي اعترف به العالم اجمع، والتضخيم من شأن الكاتب اليهودي «ان ثلاثة كتاب يهود يستحقون الترشيح لجائزة نوبل في حين لا يوجد كاتب عربي واحد «لم يتجاوز وضعه بعد حدود العبثية». ونسي عرابدي او تناسى ان اعتزاز الانسان بشعبه هو اول سمات الادب العظيم.

القضية الثانية، عالمية الادب: يقول عرابدي ويلمح في اكثر من موضع من مقالته الى ان الادب العربي لم يبلغ العالمية، وهذا كلام فضفاض لا يصمد امام النقاش. يقال «ادب متوسط وادب رديء يوجد بكثرة وما يعتبره العرب ادبا عظيما انما هو ادب متوسط ودون المتوسط بالمقاييس العالمية...».

واعتقد انه بعد هذا «القول» يحق لنا ان نتساءل ما هي المقاييس العالمية؟! هل هي الترجمة؟ اذا كان الامر كذلك – مع ان عرابدي يقلل من قيمة الترجمة في كلامه بعد ذلك بقليل عن يهودا عميحاي – فان معظم الادب العربي الانساني ترجم الى عشرات اللغات، وكتّاب مثل حنا مينه او الطيب صالح او الطاهر وطار وغيرهم يقرأون في معظم انحاء العالم. وينطبق هذا على الكثير من الشعراء العرب مثل عبدالوهاب البياتي، التي تكتب عنه منذ سنوات وفي اكبر الجامعات في العالم دراسات واطروحات – لنيل الدكتوراة!

اما اذا كانت «المقاييس العالمية للادب» هي جائزة نوبل، كما حاول عرابدي ان يوحي، فالجواب بسيط ايضا. عجنون الذي شبه العربي حين يجلس بأنه يقعد كالكلب نال جائزة نوبل وبيجين والسادات. وجر اذا اردت ان تقفل!!

القضية الثالثة، الادب بين السماع والقراءة: يقول عرابدي: ان الادب العربي هو ادب سماعي بينما الادب العبري هو ادب مقروء... ولد هدف من ذلك الى القول «ان الكتابة الابداعية العربية هي كتابة سهلة وشفافة وان الشعر هو شعر شعارات غنائي...» اهكذا اذن! لا اريد ان اناقشه في هذه القضية. ويبدو انه لم يقرأ شيئا عن نظرية محمد مندور عن الشعر المهموس، حينما تحدث عن الشعر المهجري. لقد بدأت معركة الادب العربي بين المقروء والمسموع منذ اكثر من اربعة عقود من الزمان، وكثيراً – خلال هذه العقود – ما حسمت لصالح الادب المقروء. فهل اقترح على عرابدي ان يعود اربعة عقود من الزمن حتى يرى الادب العربي – كما يجب ان يرى!!

ينهي عرابدي مقالته بالكلام الغريب التالي: «صورة الأديب العبري هي: انسان شاب مثقف يتقن معرفة الآداب لا اقل من اتقانه كتابته. اما صورة الاديب العربي فهي: انسان عجوز مثقف صغير

ويعرف التحدث في السياسة بدلا من الادب».

اما آخر كلمات مقالته: «ورغم كل شيء، سأظل فخورا بانتمائي لهاتين الثقافتين الهامتين» فلا يظل بعدها نقده الا على الاغبياء.

وسؤال اخير الى محرري «لقاء»: لماذا وضعتم مقالة عرابدي مدخلا للمجلة؟ وهل تمثل هذه المقالة رأي هيئة تحرير المجلة؟ ولماذا كانت مقالة عرابدي واحدة من مواد المجلة القليلة جدا التي نشرت باللغتين العربية والعبرية؟ اسئلة بحاجة الى اجوبة.

● المعرض الأول للفنان سهيل أبو نوارة



● أقيم في اوائل آب ١٩٨٥ المعرض الفني الأول، للفنان ابن الناصرة سهيل ابو نوارة، واستمر حتى العشرين من الشهر نفسه، حيث أتيح لجمهور الناصرة – التعرف الى احد فنانيه الذين اثروا العمل بصمت طوال السنوات الماضية.

وتأتي اهمية هذا المعرض من كونه المعرض الأول الخاص الذي يعرض لوحات سهيل ابو نوارة، والذي لم يسبق ان عرض لوحاته بشكل مكثف وضمن معرض مخصص للوحاته فقط. وان كان – قد اشترك بلوحة او اثنتين في معرض «الأرض في الفن التشكيلي الفلسطيني» الذي اقيم بمناسبة «يوم الأرض» العاشر. وفي المعرض الذي اقيم ضمن «ليالي بيرزيت» فان الجمهور لم يتعرف اليه كما حدث في هذا المعرض.

وسهيل ابو نوارة فنان من الناصرة، ولد فيها سنة ١٩٤٠ وتعلم في مدارسها، ثم درس الفن في معهد «بتسلئيل» – في القدس. وعرف في السبعينات ككاتب مسرحي وقدم له المسرح الحديث في تلك الفترة مسرحيته الوحيدة «زغرودة الارض» التي اصدرها المسرح الحديث ايضا سنة ١٩٧٥ في كتاب.

يتضح مما تقدم ان سهيل ابو نوارة، رغم عرض لوحاته لأول مرة، ليس وافدا جديداً على عالم الفن، وانما هو فنان له ماضيه وعطاءاته. أضف الى ذلك انه من بيت عُرف ابناؤه باهتمامهم بالفن، وأم سهيل – مثلا – مريم أبونوارة، فنانة ايضا ولها لوحاتها التي شاهد جمهور الناصرة، في معرض «الأرض في الفن التشكيلي الفلسطيني» المشار اليه آنفا، بعضا منها.

وعليه، يكون من الصعب على المرء تناول تجربة سهيل كتجربة اولى في مضمار الفن، وانما عليه ان يتناولها – كجزء من تجربة أثبتت فيما مضى ان صاحبها قادر على العطاء.. يزيد من صعوبة تناول تجربة سهيل، ان لغة اللون تختلف عن لغة الكلمة.

ان أسهل موقف يمكن ان يتخذه المرء من معرض سهيل في رأيي، هو ان يرفض الموقف الفكري الذي يتخذه، كما هو واضح في لوحاته المعروضة. لكن هذا الموقف السهل لا يصمد ازاء النقاش الموضوعي، ذلك ان نقاش اي فنان يجب ان يتم من داخل اعماله لا من خارجها. وان كنت لا انتقص من قيمة الرأي المضاد، ولا افصل فصلا اعتباطيا – كما يفعل البعض – بين الداخل والخارج، الباطن والظاهر.. وليس من حق الناقد محاسبة الفنان على ما توجب عليه عمله وانما عليه محاسبته على ما عمله فعلا. والا سنكون مضطرين ازاء مثل هذا الناقد، الذهاب الى مرسم الفنان والرسم، عوضا عنه. وهذا غير ممكن اطلاقا.

يزيد في صعوبة تقييم فنان مثل سهيل (ولا اقول الحكم عليها) انه لا يسلم نفسه من اول نظرة وان على المشاهد، نتيجة لخصوصية التجربة ولتفردها بعالمها الخاص، ان يبذل مجهوداً كبيراً في الدخول الى عالمه، وان يشارك في الكشف عن عالم أثر ان يكون صادقا الى درجة الفناء في الفكرة.

ان المُشاهد للوحات المعرض، لا يستطيع ان يفعل ما يفعله مع الصورة الفوتوغرافية، تقف قبالتها، وتسلمه نفسها بشيء من الصعوبة او بدون صعوبة، وينتهي الامر. انت امام اللوحة – هنا – خالق للوحة من جديد ودورك لا يقل أهمية عن دور الفنان الذي يمتاز بأكثر من القدرة على تجسيد ما تحس وتشعر به.

على ان بعض اللوحات المعروضة، استغلق كلية على بعض المشاهدين الى حد ان البعض طرح سؤالا ساذجا وقال: هل يوجد شكل في بعض هذه اللوحات؟

تمتاز لوحات سهيل بنوع من الغموض، ولكن هذا الغموض كثيراً ما يتحول الى لغز من الصعب على المرء حله او الدخول الى عالمه.

ويلاحظ زائر المعرض ان الفنان لجأ الى الألوان القاتمة، وارى ان مجرد الذهاب الى هذه الألوان يحمل اكثر من دلالة، ففي زمن يتسم بالغموض والضباب، يمكن للمرء ان يتسامح مع فنان، لا يستطيع ان يتجاوز اليأس العابر الى الأمل التاريخي القائم على حتمية التاريخ. لكن هذا لا يعني بالطبع الا يلفت الناقد نظر الفنان الى ضرورة رؤية الواقع ضمن حركته – وقوانين تطوره.

إن الذهاب الى الألوان القاتمة، يقدم نوعاً من الاحتجاج على واقع، لا يستطيع الفنان لا كفرد ولا كجماعة الاندماج به – كما يجب. وفي زمن تتفشى فيه الفاشية والعنصرية يكون من حق الفنان ان يحتج، فالاحتجاج هنا يعني رفض الفنان للواقع، وطلبه بتجاوزه. وان كان يطلب منه – كونه ممثلا لجانب من جوانب الوعي الاجتماعي – الا يضيع البوصلة التي ان ضاعت، ضاع كل شيء.

تصل اللوحة احيانا عند سهيل الى حد التجريد الفكري والمثالية – الذاتية التي لا ترى سواها، وبالطبع لهذا اسبابه الخاصة، مثل الخوف وعدم القدرة على المواجهة، ولعل ضياع ملامح الوجه في لوحة سهيل يقدم معنى واضحا لما أعنيه. ومهما يكن من امر، فان حنين سهيل الى الناصرة القديمة والى حارته القديمة واضح ويلمسه زائر المعرض في اكثر من لوحة. ويقدم اكثر من عذر. ويدل دلالة واضحة ان سهيل فنان قادر على العطاء وسيتابع عطاءه. □

عدد جديد من مجلة «الكرمل» الفصلية الفلسطينية



صدر العدد ١٦ من مجلة «الكرمل» الفصلية الثقافية الفلسطينية حاملا، العديد من النصوص الابداعية والدراسات المتنوعة، اضافة الى الابواب الثابتة.

● افتتاحية العدد للشاعر محمود درويش رئيس تحرير «الكرمل» بعنوان «جنون ان تكون فلسطينياً» عن «الضحية التي ترضي ابادتها كل الاطراف، وتسهل ابادتها شروط التفاوض ودخول النادي السياسي اللبق».

● في الدراسات:
محمود عباد «السلفية الوطنية» عبد الكريم الخطابي نحو فكر مغاير. فواز طرابلسي «غيرنيكا» بيكاسو.

● في القصص:
تضمن العدد ثماني قصص لكل من محمود الورداني، جبار ياسين، يوسف ابو رية، ليانة بدر، الياس فركوح، محمود عويمي، الحبيب السالمي، فؤاد حجازي.

● في المختارات:
ترجمة لقصائد الشاعر الكاتالاني (الاسباني) سلفادور اسبريو الراحل حديثا بعنوان «شمس راقدة في البلايه».
كذلك هناك «اشعار بولونية» لثلاثة من الشعراء ترجمة حنة يانكوفسكا، وهي مستشرقة بولندية تجيد اللغة العربية.

● في الرواية هناك نصان: الاول لادوار الخراط، بعنوان «النوارس بيضاء الجناح» والثاني لعمران المليح بعنوان «المجرى الثابت». وتم نشر الاجزاء الاولى من الرواية.

● في الشعر، تسع قصائد لتسعة شعراء هم:
احمد دحبور – قصائد.
فوزي كريم – العودة الى كاردينيا.
نوري الجراح – كرسي يتأمل الزرقة.
وليد خازندار – هزة في اول الحس.
غسان زقطان – اساورك الماكرة.
علي الخليلي – في القفص.
منذر عامر – ماذا نترك بعد الآن!
حسان عزت – يستطيعون استطيع
عالية ممدوح – الوجه.

● في باب الحوار لقاء مع الفيلسوف اليوناني كوستاس اكسيلوس بعنوان «لعب العالم لعب الانسان».
كذلك تمت ترجمة فصل عن الشعر والفلسفة من كتاب «منهجية مفتوحة» وهو لاكسيلوس.

● في باب الاقواس: هناك عدة مقالات هي «المسرح الفلسطيني بين الفكر والفرجة» لراضي شحادة، و«هدنة الألق» لاوجينيو مونتالي و«استعمالوليه» احمد قابيز: واجب الكاتب، و«مفهوم الحديقة في الحضارة الاوروبية» لليشاتشوف. وهناك موضوع بعنوان «لماذا تكتب؟» سؤال طرحته صحيفة «ليبراسيون» على اربعمائة كاتب، ثم جمعت الاجابات في كتيب مستقل.

● في باب اوراق: نشرت «الكرمل» رسائل رامبو من عدن ترجمة وتقديم شربل داغر وهذه الرسائل تنشر للمرة الأولى بالعربية، وهي مختارات من كتاب يصدر قريبا بعنوان «العابر الهائل بنعال من ريح ورسائل رامبو العربية».

«حب وحرب» ديوان جديد لسليم سعد

● في الدوحة، عاصمة دولة قطر، صدر للشاعر الفلسطيني سليم سعد ديوان شعر جديد بعنوان «حب وحرب» يتناول الهموم الذاتية والعامة للانسان الفلسطيني، كما يتضمن بعض المرثيات لشهداء فلسطين.

وقد صدر للشاعر سابقاً المجموعات الشعرية التالية «دوحة الايام» «حول يا جرحي القديم» و«انتهي يا قدس».

«صبابات المهرة العُمانية» مجموعة شعرية جديدة لظبية خميس

● عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» في بيروت صدرت مجموعة شعرية جديدة للشاعرة ظبية خميس بعنوان «صبابات المهرة العمانية». والشاعرة تعد من نشيطي المثقفين في الامارات، حيث تشارك في النشاط الثقافي والادبي هناك بشكل بارز.

هبيل كهانا (المجد لكهانا)

(كتاب وثائقي للصحفي بير كوتلر، دار نشر موداه ١٩٨٥)

صدر مؤخراً كتاب الصحفي بير كوتلر الذي يسرد حياة وأعمال وافكار الفاشي مئير كهانا في ٤٣٢ صفحة اعتمد في جمعها على شهادات ممن عرفوا كهانا وعملوا معه وعلى منشورات صدرت هنا وفي الولايات المتحدة وكذلك من خلال متابعة نشاطاته وتصريحاته.

في هذا الكتاب يعرض المؤلف شهادات تؤكد أن كهانا كان عميلاً لجهاز المخابرات الامريكية (السي اي إيه) وجهاز المخابرات الاسرائيلي كذلك عمل مع المافيا الامريكية كما يستعرض نشاطاته العنصرية في الولايات المتحدة حيث قام تنظيمه العنصري «دوريات الدفاع عن اليهود» المعادي للمواطنين السود في نيويورك وتحت شعار «الدفاع عن يهود الاتحاد السوفييتي» قام تنظيمه بعدة اعمال ارهابية ضد دبلوماسيين سوفييت وشخصيات امريكية كانت لها علاقة مع الاتحاد السوفييتي.

وعن أعماله العنصرية في اسرائيل يتحدث المؤلف بتوسع عند اقامة منظمة «كاخ» ومحاولاته الوصول الى الكنيست حتى نجاحه في العام ١٩٨٤، ومحاولاته الاستفزازية العنصرية ضد الجماهير العربية. كذلك يكشف المؤلف عن الموقف الاسرائيلي الرسمي المتسامح مع كهانا وحركته.

على الرغم من أن الكتاب يقدم صورة واضحة ومتكاملة عن شخصية هذا العنصري المأفون، الا أنه لا يحلل هذه الظاهرة ويحصرها بشخصه فقط، ويعتبرها شخصية مريضة وأن كهانا يبحث عن الشهرة فقط وأنه لا ينوي تنفيذ مخططاته العنصرية التي يتحدث عنها مثل طرد العرب.

يقول المؤلف (ص ٣٧١): «ان كهانا يفضل النشاط البهلواني والاستعراضي وليس العمل الجدي والمثابر، كما يليق بقائد حركة سياسية».

انه يريد ان يقطف الثمار بسرعة خصوصاً في وسائل الاعلام وكل نشاط لا يغطي وسائل الاعلام فانه لا يعنيه شيء».

«فلسطين الثورة» تنشر افتتاحية «الجديد»: قفا لا نبك ..

● نشرت مجلة «فلسطين الثورة» الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في عددها الصادر بتاريخ ٨٥/٨/٣ النص الكامل لافتتاحية عدد حزيران (٨٥/٦) من مجلة «الجديد» التي كانت بعنوان «قفا لا نبكه» والتي حددت مهام الثقافة العربية الثورية ازاء الواقع العربي الراهن. وقالت «فلسطين الثورة» ان الموقف الذي عبرت عنه «الجديد» على درجة من الاهمية، لهذا نعيد نشره.

صدر العدد الثاني من «اللقاء»

صدر العدد الثاني، صيف ١٩٨٥، من مجلة «اللقاء» مجلة عبرية - عربية للابداع تصدر عن «المعهد اليهودي - العربي التابع للهستدروت» ويحررها محمد حمزة غنايم المحرر المسؤول وأب يهوشع ومحمود عباسي وفي العدد مقالات وقصائد وقصص بالعبرية والعربية للكتاب والشعراء: نعيم عرايدي، دافيد غروسمان، ميشيل حداد، سعد مكاوي، يوئيل هيرشطاين، صبح الله ابراهيم، طه محمد علي، نعيم تكلا، محمود عباسي، احمد حسين، بنيامين تموز، يوسف ادريس، محمد الراوي، شمعون بلاص، راشد حسين، سلمان ناطور، نجيب محفوظ، يحيى الطاهر عبد الله، ادونيس، نسيم رجوان، احسان كمال، عاميلا عينات، ابيرة بن عيزر، اهرون ميغد، مرشيه دور.

«الجميع يربحون الجائزة»، مجموعة قصصية جديدة لأبو المعاطي أبو النجا

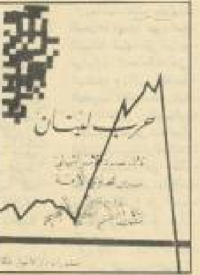
● أصدرت مختارات «فصول» مجموعة قصصية جديدة بعنوان «الجميع يربحون الجائزة» للقاص المصري المعروف محمد ابو المعاطي ابو النجا والمجموعة القصصية الجديدة هي السادسة بعد مجموعاته الخمس السابقة التي أهمها «الوهم والحقيقة» ومهمة غير عادلة» الى جانب روايتيه الهامتين «العودة الى المنفى» و«ضد مجهول».

وحسب تقديم «فصول» المجموعة الجديدة فهي تحمل السمات نفسها التي تميز بها فن ابو النجا القصصي كالنزوع الى اختيار التجارب الانسانية، والميل الى التحليل والمونولوج والسبر العميق لاغوار النفس البشرية، والعلاقات بين شخوصه، من خلال مواقف درامية، ولحظات مضيئة، والقدرة على تجسيد المقولات المجردة في حوار قصصي.

تضم المجموعة القصصية الجديدة «الخبر»، «بطاقة شخصية لرجل مجهول»، «آخر السهرة»، «ذلك الوجه وتلك الرائحة»، «في الزحام»، «الانتقام»، «الليل والنهار»، «نهاية اللعبة».

و«مختارات فصول» هي سلسلة أدبية شهرية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، رئيس مجلس ادارتها الناقد المعروف د. عز الدين اسماعيل، ويشرف عليها الكاتب القصصي سليمان فياض.

حرب لبنان الاقتصاد الاسرائيلي بين مهاوي الأزمة والانهيار دراسة احمد سعد



عن منشورات الأسوار صدرت دراسة الباحث الاقتصادي احمد سعد بعنوان: حرب لبنان: الاقتصاد الاسرائيلي بين مهاوي الأزمة والانهيار. وهي تتألف من اربعة فصول: الفصل الاول: الطلقات الاولى في العام ١٩٨٢، وفيه يتناول المرحلة التي سبقت الحرب حيث بدأت حكومة اسرائيل استعدادها اقتصاديا لهذا العدوان. ويحمل الفصل الثاني عنوان ١٩٨٣: التطور صوب الانهيار الاقتصادي، وفيه يتناول المرحلة التي تلت أيام الحرب مباشرة وفيها وضعت الحكومة برامج لتغطية نفقاتها العسكرية وبدأت تنفذ هذا المخطط بعدة برامج اقتصادية كان مصيرها الفشل وتعمق الأزمة. والفصل الثالث يتناول مرحلة ١٩٨٤ - ١٩٨٥ حيث وصل الاقتصاد الاسرائيلي الى مهاوي الانهيار على «الجبهة الخلفية» فازدادت البطالة وتعمقت الأزمة والتبعية الاقتصادية والتقاطب الاجتماعي وهذا ما يعالجه المؤلف في الفصل الاخير.

يقول الكاتب في مقدمة دراسته: «لقد أدت الحرب العدوانية والتواجد العدواني الاسرائيلي في لبنان الى اوخم العواقب والنتائج الكارثية في مجال التطور الاقتصادي - الاجتماعي في اسرائيل. فتكاليف هذه الحرب الباهظة تقدر بأكثر من خمسة مليارات دولار، وانفاق مليون ونصف المليون دولار يومياً - مصروفات جارية على الغازي في لبنان لم يؤد فقط الى ارهاق الاقتصاد الاسرائيلي وتسعير حدة الأزمة الاقتصادية - الاجتماعية، بل أدت هذه الحرب الى بروز مظاهر جديدة وسمات جديدة رافقت مسار التطور في ظل التعطش عميقاً في لجة اوحال الحرب اللبنانية».

رحيل الباحث شكري فيصل والشاعرة سناء صالح

دمشق - توفي في دمشق الدكتور شكري فيصل، عضو الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب العرب وأحد النقاد البارزين في سوريا. والدكتور فيصل هو استاذ الادب العربي القديم في جامعة دمشق كما ان له كتبا هامة وأساسية في تاريخ الادب العربي القديم ونقده.

كذلك خسرت الحركة الادبية الشاعرة سناء صالح التي اختطفها الموت، اثر مرض عضال، وهي في عز شبابها وعطائها. والشاعرة سناء صالح هي زوجة الشاعر والكاتب المسرحي المعروف محمد الماغوط.

وفاة الكاتب الألماني هاينريش بول



عن ٦٧ عاماً توفي في كولونيا، بألمانيا الاتحادية مؤخراً الروائي الألماني «هاينريش بول» الذي يعتبر الأب الروحي للأدب الألماني المعاصر.

ولد «هاينريش بول» في مدينة «كولونيا» عام ١٩١٨، لعائلة فقيرة وأب يمتهن التجارة، وتلقى علومه الأولى في مدارسها، ثم التحق بالجيش الألماني ابان صعود النازية وظل جندياً حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

بعد الحرب اتجه بول الى دراسة الأدب والفلسفة ونشر في أواخر عام ١٩٤٦ مجموعته القصصية الأولى التي لاقت رواجاً واسعاً ولفتت اليه الأنظار.

بعد ذلك تتابعت أعماله وأهمها روايات: «الوحدة في الحريق»، «الجراح»، «مدينة السلام»، «الوصية»، «مغامرة كيس الخبز»، «بيت بلا حارس»، «حكاية تافهة»، «آراء مهرج»، «وجهي الحزين»، «شرف كاترينا بلوم الضائع». اضافة الى العديد من القصص القصيرة التي لم تنشر حتى الآن، والتي لا زالت محفوظة في أرشيف المدينة التي ولد وتوفي فيها.

عام ١٩٧٢ حصل «هاينريش بول» على جائزة نوبل للآداب، وهو نفس العام الذي أصدر فيه روايته الشهيرة «شرف كاترينا بلوم الضائع». يصور بول في عدد من أعماله الواقع الألماني خلال مدة ثلاثين عاماً (خلال حكم النازية) حيث يسود الارهاب وتفقد ادواته المتمثلة في رجال الصحافة، القانون، الشرطة والعدالة، مشيراً بعمق ومن خلال كشف التركيب النفسي لهذه النماذج الى ان الأفراد الذين تأسست في ذواتهم النازية لا زالوا يتوقون الى بعثها وتعميمها وممارسة طقوسها الجنس والارهاب، والعنف والقتل.

جديد الياس خوري: زمن الاحتلال

عن مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت صدر كتاب «زمن الاحتلال» للروائي والناقد «الياس خوري» والكتاب مجموعة مقالات سبق وان نشرت في جريدة «السفير» اللبنانية في زاوية يحررها «الياس خوري» بعنوان «زمن الاحتلال».

«زمن الاحتلال» هو الاصدار التاسع لالياس خوري بعد رواياته: «عن علاقات الدائرة»، «ابواب المدينة»، «الوجوه البيضاء»، ومجموعتيه القصصيتين: «الجبل الصغير»، و«المبتدأ والخبر»، وبعد ثلاث دراسات هي: «تجربة البحث عن أفق»، «دراسات في نقد الشعر»، و«الذاكرة المفقودة»، وكانت مؤسسة الابحاث العربية قد اعادت طباعة «الجبل الصغير» وتستعد لاعادة طبع «عن علاقات الدائرة» و«الوجوه البيضاء».

زمن الاحتلال ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط.

وثيقة عصر كامل

سارزونوف بصدد مؤلف ماركس وانجلز بيان الحزب الشيوعي موسكو : دار التقدم ، ١٩٨٥ ، ١٦٦ صفحة . (الموزع الوحيد في اسرائيل : المكتبة الشعبية الناصرة)



كتب انجلز ، رفيق ماركس وشريكه في وضع «البيان الشيوعي» في عام ١٨٨٨ في تقديمه للطبعة الانجليزية من البيان الشيوعي : «... ولا ريب انه في الوقت الراهن أوسع المطبوعات الاشتراكية انتشارا وأكثرها أهمية بل هو البرنامج العام الذي يتبناه ملايين العمال من سيبيريا الى كاليفورنيا» .

منذ ذلك الوقت والى الآن طُبع هذا الكتاب الوثيقة آلاف الطبعات ، ومئات ملايين النسخ منه بوزيها المليارات - منتشرة في مختلف أنحاء العالم تزوّد العمال وكل الثوريين ببوصلة العمل الثوري .

وأهم من هذا ، فان أفكار ماركس وانجلز ، أفكار البيان الشيوعي قد انتصرت في ثلث عالمنا ، نهائيا ، وتواصل الانتصار في بقية أنحاء العالم .

والمدهش في فكر ماركس وانجلز - كما يبرز هذا البيان الشيوعي وغيره - ان فكرا اعتصر الحاجات التاريخية لمرحلة كاملة ، مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . لذلك فان البيان الشيوعي يحافظ الى الآن على صحة تقييماته الجوهرية . هذه التقييمات التي اغتنت وتطورت في مرحلة اللينينية وفي فكر ونضال الحركة الشيوعية العالمية .

ان هذا الكتاب الذي بين أيدينا حول البيان الشيوعي هو كتاب شيق جدا ، عميق ومبسط . يشرح بشكل قصصي طبيعة مرحلة صدور البيان الشيوعي - سياسيا وطبقيا . يشرح تطور الحركة العمالية في تلك المرحلة وصراعها الثوري لأخذ دورها القيادي في المجتمع الانساني . يشرح عملية انتقال الاشتراكية من حلم طوباوي (مثالي) الى علم ثوري تستخدمه ملايين الكادحين سلاحا لتغيير العالم .

ان هذا الكتاب ضروري ومفيد للعمال ، لكل الناس التقدميين والديمقراطيين . كما اننا نشير خصوصا الى ان هذا الكتاب نافع جدا للطلاب الثانويين والجامعيين الذين يدرسون عن الماركسية في المدارس والجامعات ، من وجهة النظر الفكرية البرجوازية . ومن المهم ان يقرأوا تفسير الماركسية نفسها لمرحلة صعود الماركسية الى مسرح التاريخ بوصفها نظرية الطبقة الأكثر تقدمية وثورية في التاريخ - الطبقة العاملة .

